جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الإبداع
وعلاقته بالإرث الشعرى
{ دراسة أدبية تطبيقية على أسرة من الشعراء فى العصر الحديث }

دكتور
سيد أحمد عبد الرحمن محمد أبو عليو
مدرس الأدب والنقد فى كلية اللغة العربية بجرجا
جامعة الأزهر

العدد الخامس عشر (الجزء الأول)
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

المقـدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرســلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا البحث وصاحبه من خلاله يحاولان أن يقدما رؤيــة جديــدة لعملية الإبداع لا عند الشاعر وفقط ، فذلك أمر تصدى له الباحثون وأصبح الكلام فيه مكرراً معاداً ، وكما يقولون : يقع الحافر على الحافر فيه ، لذا رأيت أن أولى وجهى ناحية أخرى من نواحى العملية الإبداعية ، وأعنــى بها توريث هذا الإبداع ... فهل الإبداع يمكن أن يورث ؟

سؤال طرح كثيرا على موائد النقاش ، وكان موضوعا للكثير من الدراسات والكثير من الاجتهادات والرؤى التى تراوحــت بــين الإجابــة بالإيجاب التام والإجابة بالنفى التام وأحيانا بالإيجاب المشروط ...

والحق أن الأكثرين مع الإجابة بالنفى القاطع ، وذلك على الــرغم مما يحفظه لنا التاريخ من نماذج كان فيها أكثر من فرد من أفراد العائلة ، مبدعا فى المجال ذاته ، كبيت زهير بن أبى سلمى، وبيت حسان بن ثابت، وبيت جرير وغيرهم من البيوتات الشعرية العربية القديمة ، ولذا نوه ابن رشيق بهم وأشاد بشعرهم [١] .

فإذا ما سلمنا بأن الفن فى جوهره موهبة قبل أن يكون ثقافــة أو بيئة ، فإنه يصبح من الصعب أن نتصور أن تستأثر عائلة ما بموهبة ما ، ربما يكون مقبولا أن نقول : إن العائلة التى توجد بهــا موهبــة إبداعيــة كبرى توفر لأبنائها بيئة تساعدهم على تذوق هذا اللون من الإبداع ، أمــا أن يكون معنى هذا أن تقدم مبدعين على مستوى رفيع ، فهذا أمر موضع شك كبير .

---

(١) – يراجع : كتاب العمدة لابن رشيق : ٢ / ٣٠٦ .

غير أن هذا البحث وهو (الإبداع وعلاقته بالإرث الشعرى – دراسة أدبية تطبيقية على أسرة من الشعراء فى العصر الحديث) يحاول أن يثبت أن الإبداع يمكن أن يتكرر بشكل لافت للنظر فى العائلة ذاتها ، من خلال ما يعرضه البحث من شعر وما يتضمنه من عرض لمسيرة أصحابه .

وقد جاء البحث بعد هذه المقدمة فى ستة مباحث تعقبها الخاتمة .

أما **المبحث الأول** : فقد ضم بين جوانحه مفهومى الإبداع والإرث الشعرى .

والمبحث الثانى : قد دار حول رأس الأسرة وهو (الجد) .

والمبحث الثالث : تناولت فيه الأبناء .

والمبحث الرابع : جعلته لأبناء الأخت .

والمبحث الخامس : تناولت فيه الأسباط .

والمبحث السادس : تناولت فيه عناصر الإبداع الفنى فى شعر الأسرة .

والخاتمة : أوجزت فيها أهم نتائج البحث .

وبعد : فهذه دراسة لا أدعى لها الكمال ولا الاقتراب منه ، ولكنى أراها خطوات فى طريق راشد تضاف إلى جهود الباحثين فى ميدان الدراسات الأدبية ، علنا من بعد نواصل الخطا ونتبع الهداة ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

د / سيد أحمد عبد الرحمن محمد أبو عليو
مدرس الأدب والنقد
فى كلية اللغة العربية بجرجا

المبحث الأول
الإبداع والإرث الشعرى

أ – مفهـــوم الإبـــداع الفنى :

تعد ملكة الإبداع الأدبى عطاء من الله – تعالى – يهبه لمن يشـــاء من عباده ، ولهذا سميت موهبة ، وهى تكمن فى القدرة على استخدام اللغة استخداماً جميلاً قادراً على حمل المشاعر والأفكار .

والفن رؤية وجدانية لواقع معاش مختلط مع واقع دابر أو فكـــرة ملحة ملازمة ، يختار من كل أولئك وينتقى ثم يقوم الخيال بعملية التنسيق والملائمة والإضافة ؛ ليقدم فى النهاية شكلا جديداً لواقع تبـــدو صـــورته على نحو غير مسبوق ، له القدرة على نقل الرؤية الوجدانية فـــى عمـــل إبداعى هدفه التأثير فى المتلقين ، ومن ثم كانت الإثارة أو لحظة الإلهـــام التى تدع المبدع في حاجة إلى زمن ومعايشة كاملة تتم فيهما وبهما عملية التخمير حتى تتراكب الانفعالات عنده مندمجة مع الفكرة أو الواقع وبذلك يتخلق الإبداع فى نتاج فنى مذاع بهدف التأثير فى الناس بما يريـــد بثـــه ونقله إليهم .

ومن هنا ندرك مدى المعاناة التى يتجشمها المنشئ فى معايشـــته لموضوعه ، وفى مراحل إنجازه ، فهو كمن يتسوّر جبلاً شامخاً كما قـــال بذلك النقاد .

إذن " فالإبداع عمل يحتاج إلى تضافر قدرات المبدع ليتم فى شكل متناسق تحت سلطان التجربة ، وبإرشاد منها ؛ لأن هدف المبدع هو النفاذ إلى وجدان المتلقى وتوصيل تجربته إليه ، ليقنعه بالموقف الذى اتخذه تجاه

الموضوع المطروح من خلال فنه الذى يخاطب المتلقين " [١] .

والعملية الإبداعية ليست بمنأى عن الفكر حتى لا تخضع للتعريف ، فإن أغلب الكتاب والأدباء لا تخرج تعريفاتهم عن مفهوم القدرة على الاستحداث ، أو هى عبارة عن " مجموعة من النشاطات المتجهة إلى هدف معين ، تخرج فى سلسلة متلاحقة لتصنع فى النهاية شكلاً تأنس إليه التجربة ، ويكون مشيراً إليها ومحدداً لها " [٢] .

كما نجد د / حلمى المليجى يعرف الإبداع بأنه : " عملية إنتاج شئ جديد ، سواء كان اختراعاً ، أو فكرة ، ويجب أن يكون أصيلاً وحديثاً " [٣] .

أما الموسوعة الميسرة فقد عرفت الإبداع بأنه : " القدرة على استحداث عمل أو فكرة ما ، أو ابتكار حلول جديدة لمشكلة ما على غير مثال سابق " [٤] .

وتبدو من المفهومين السابقين – للإبداع – عموميتهما ، حيث يختصان بالإبداع الفنى أو الأدبى ، الذى يعد من الدرجة الأولى عملية نفسية وشعورية يحياها المبدع .

---

(١) – حرية الأديب ورسالة الناقد ، د / عيد عبد الرحمن قناوى ، ص ٥٨ ، ط دار الوفاق للطباعة والنشر بأسيوط ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

(٢) – التجربة الشعرية عند المتلقى، د / عبد الله محمود حسن محروس ، ص ٤٧ ، مطبعة الأمانة ، ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

(٣) – علم النفس المعاصر ، ص ٢٣٥ ، ط دار النهضة العربية ، بيروت ، ط الثانية ١٩٧٢م .

(٤) – الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، د / مانع حماد الجهنى : ٢ / ٩٤٩ ، ط دار الندوة العالمية للطباعة ، الرياض ، ط الثالثة ١٤١٨هـ .

ولما كان الحديث مرتبطا بالمبدع صاحب النص من حيث أطوار الحياة التى مر بها ، وثقافته الموروثة ، ثم المثير الذى دفعه إلى القول ، وكيف أنتج هذا الأثر ، وما هى حياته ، وما أدواته ، وأى خطا موروثة يتأسى ، وفى أى طريق يسير ، وبأسلوب من تشبع ، ولأفكار منْ تشيَّع ...

فإن هذا المبدع " يتجول فى الواقع بعينه وعقله وخبراته ، بعد احتضان المثير أو المنبه الذى يستثير الدافعة الإبداعية لديه ، فإنه يكون مشبعاً بالانفعالات الخاصة المرتبطة بحالة الإثارة التى حدثت وما صاحبها من انطباعات تخضع عند تشكيلها للمتغيرات الاجتماعية والمتغيرات الشعورية التى تنتاب المبدع تجاه مجتمعه " (١) .

ومن ثم يمكننا أن نقرر أن الإبداع نشاط اجتماعى موروث من بعض نواحيه (٢) .

وأخيرا فإنه يمكن القول : إن الإبداع الفنى فى أبسط صوره هو خلق علاقات جديدة ، أو هو القدرة على إيجاد حلول جديدة لمشكلة ما ، أو أساليب جديدة للتعبير الفنى ، على أن الفنان فى تكويناته الإبداعية لابد أن يمر بمراحل عدة قبل أن تصل إلينا فى عمل مكتوب أو منطوق ، وليس هذا مجال البحث ، ولكننى سأكتفى بومضة تشير إلى شرط للإبداع وضعه ابن القيم وقد أراد أن يجنبنا التيه حين قال : " مَنْ له مُسْكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما ينشأ من تقديم الرأي على الوحي ، والهوى على العقل ، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم

---

(١) – يراجع : الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة، د / مصطفى سويفى، ص ١٧٢ ، ط دار المعارف ١٩٧٠م .

(٢) – ينظر : السابق ، ص ١٢٠ .

هلاكه ، وفي أمة إلا وفسد أمرها أتم فساد " [١] .

وهذا هو المنطلق الأول للإبداع ، ألا يتعارض مع المنهج الإسلامى فى كلياته وجزئياته ، وبوصف الشعر نوعا من الإبداع الفنى ، يعتمد اللغة وسيلة تعبيرية مؤثرة ، فإن الصياغة الأدبية " إذا جاءت من مبدع لا خلاق له ، أثار بكلماته وصوره الخيالية ، ومحسناته البديعية المستمع أو القارئ إلى ما تدعو إليه القصيدة من انحراف عقدى ، أو فكرى ، أو جنسى ، أو غير ذلك " [٢] والله – ﷻ – يقول فى كتابه العزيز : { لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ } [٣] ويقول : { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } [٤] ومن ثم فإن " الإبداع الفنى لابد وأن ينطوى على الثبات والسمو " [٥] .

ب – المراد بالإرث الشعرى :

الشاعر ، والموسيقار ، والأديب ، والممثل ، والنحات ، والرسام ، ... أعضاء فى مجتمع أولاً وقبل كل شئ ...

والفرد فى المجتمع يعطى ويأخذ ، يؤثر ويتأثر بعد أن يشرب من

---

(١) – إعلام الموقعين عن رب العالمين : ١ / ٥٧ ، ط دار الحديث ، والمسكة : البقية ، والعقل الوافر والرأى .

(٢) – التربية الإبداعية فى منظور التربية الإسلامية ، د / خالد بن حامد الحازمى ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ص ٤٣٤ ، العدد ١١٦ ، السنة ٣٤ بتاريخ ١٤٢٢هـ .

(٣) – سورة النساء من الآية (١٤٨) .

(٤) – سورة فاطر من الآية (١٠) .

(٥) – الرؤية الفنية للأدب الإسلامى فى العصر الحديث ، رسالة دكتوراه للباحثة / وفاء إسماعيل ، ص ٢٩٣ ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ٢٠٠١م .

منابعه الموروثة ، ويكاد نقاد العرب يجمعون على أن الأديب المنتج : شاعراً ، أو كاتباً ، أو خطيباً ، يخلق وفيه تلك الموهبة الفنية ، فإذا لم تكن فيه تلك الموهبة كان من الأفضل لمن يحاول معالجة قرض الشعر ، أن ينصرف عن محاولته إلى عمل آخر يكون أقرب إلى نفسه ، وأشد مناسبة لطبعه (١) .

وقد أدرك أحد النقاد قيمة الحفظ والرواية فى تكوين الشاعر وإعداده للإبداع الشعرى فيرى أنه : " لا غنى للشاعر من اتباع غيره من الشعراء ، وأول ذلك الرواية ، وقد كانت شائعة إلى أن انتشر الخط ، وكثرت الدواوين ، فصار الشعراء يتلقون عنها " (٢) .

ويقرر ابن خلدون أن الشعر صنعة لها أصولها وأسسها ، وعلى الشاعر أن يقف على هذه الأصول لأنها أدواته ، وأول هذه الأدوات الحفظ ، ولا سيما حفظ أشعار السابقين ، ولا سيما المبرزين منهم ، وبذلك يستطيع الشاعر أن يستعين بهذا المخزون فى عملية الخلق الفنى على حد تعبير ابن خلدون الوارد فى قوله : " اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً ، أولها : الحفظ من جنسه ، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها " (٣) .

وشعراء الأسرة الذين نتناولهم بالبحث والدراسة فى بحثنا هذا وجدوا متنفساً فى فن الشعر ، لأحاسيسهم ومشاعرهم ، بالقدر الذى أتيح

---

(١) – ينظر : أسس النقد الأدبى عند العرب ، د / أحمد أحمد بدوى ، ص ٣٦ ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٩م .

(٢) – تاريخ آداب اللغة العربية ، مصطفى صادق الرافعى : ٣ / ٥٧ ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت .

(٣) – مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د / على عبد الواحد وافى : ٣ / ١٣٠٦ ، ط نهضة مصر .

لموهبة كل منهم الموروثة ، وقد جمع الشعر والأدب بين أفراد تلك الأسرة ، كما ربطت بينهم أواصر القرابة .

ومما يدل على وجود التوارث فى الموهبة الشعرية ما يحفظه لنا التاريخ من نماذج كان فيها أكثر من فرد من أفراد العائلة مبدعا فى المجال ذاته :

منها في الجاهلية بيت أبي سلمى : كان شاعراً واسمه ربيعة ، وابنه زهير كان شاعراً ، وكان كعب وبجير ابنا زهير شاعرين ، وجماعة من أبنائهما .

ومن المخضرمين حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ، وهو وأبوه وجده وأبو جده شعراء ، وابنه عبد الرحمن شاعر ، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر .

ومن بيوتات الشعر في الإسلام بيت جرير : كان هو وأبوه عطية وجده الخطفي شعراء ، وكان بنوه وبنو بنيه شعراء (١) .

وفى عصرنا الحديث نجد أسرة " توفيق " – المنوط بها هذا البحث – تكاد تكوّن ظاهرة فى هذا الشأن ، وقد حاولت تتبع خطاهم ورصد تدرجهم فى سلم الإبداع الشعرى الموروث ، وبيان مدى توفيقهم فى تصوير خلجاتهم ، والتعبير عن النفس البشرية عامة ، فى شتى مناحيها ونوازعها ...

---

(١) – ينظر : العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيروانى ، تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد : ٢ / ٣٠٦ ، ط دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

المبحث الثانى

رأس الأسرة (الجد)

محمد توفيق على

كثيراً ما يحدث أن يتراكم حطام الأيام وتتناثر بقايا الأزمنة السالفة على شعر شاعر ما ، حتى يصير صيدا تلتهمه عناكب النسيان ، وكثيراً ما يكون فى شعره صفحات مضيئة تشف عن جانب من جوانب الإشراق فى الشعر العربى ... ولذلك نحن فى حاجة إلى بعث التراث العربى الذى لم ينل حظه من البحث والكشف فلعل فى ذلك ما يكشف عن اللون والسمة والأصالة أو يوضحها أكثر فتبدو فى صورة لائقة تعكس فى صدق حياة العربى التى جمعت كثيرا من المثل الرائدة [١] .

والشاعر محمد توفيق على – رأس هذه الأسرة – أحد هؤلاء الشعراء الذين حالت الأقدار دون أن يظهروا للناس فى زمنهم ، ودون أن يسطع كوكبه كما سطع كوكب أمثاله من شعراء جيله ، حيث غفل عنه الكتاب والدارسون ، أو تغافلوا عنه فأهملت دراسة شعره ، فلم يعرفه إلا قلة قليلة جداً من الكتاب والدارسين .

ويعد هذا الشاعر أحد أقطاب مدرسة البعث والإحياء المجهولين ، فقد عاش حياته الفنية فى الثلث الأول من القرن العشرين ، فى أوج ازدهار شعرنا العربى الحديث ، وهو من الرواد الذين اقتفوا أثر البارودى فعاش معاصراً لكبار شعراء هذه الحقبة من أمثال : شوقى وحافظ ومطران وعبد الحليم المصرى ومحمد عبد المطلب وغيرهم ، وكان بعض أولئك رفاقا وزملاء له .

---

(١) – تراجع : مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ، العدد الأول ، ص ١٣١ ، ط الشركة العربية للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

اسمه ونسبه ومولده :

هو " محمد توفيق " بن أحمد بن على بن الخضر بن عامر العسيرى العباسى .

و (العسيرى) نسبة إلى قبيلة العسيرات والتى نزح بعضها إلى صعيد مصر فى محافظة سوهاج ، وسمى المكان الذى نزلوا فيه باسمهم ، وهى قرية العسيرات الآن، و(العباسى) نسبة إلى العباس بن عبد المطلب عم النبى – ﷺ – كما تذكر الكتب التى ترجمت للشاعر (١) .

و (محمد توفيق) اسم مركب عرف به الشاعر كما تؤكد الوثائق الرسمية له (٢) وقد أشار فى شعره إلى نسبه حيث يقول (٣) :

أنا ذو المرهفين قد أشرعا تو ∴ فيق ذا للطلى وذا للكتاب (٤)
وأبى (أحمد) وجدى إلى أن ∴ يتلاقى بالنيرين انتسابى
كابرٌ بعد كابرٍ بعد ليث ∴ ذى زئير وعارض ذى انسكاب

---

(١) – منها : الأعلام لخير الدين الزركلى : ٦ / ٦٦ ، ط دار العلم للملايين ، ط الخامسة ١٩٨٠م ، وكذلك : مشاهير شعراء العصر لأحمد عبيد : ١ / ٢٠٨ ، مطبعة الترقى ، ط الأولى ١٩٢٢م ، وكذلك : مقدمة الأعمال الكاملة للشاعر محمد توفيق على ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٦م .

(٢) – أكد لى ذلك أحد أحفاده وهو الأستاذ توفيق ، وذلك من خلال لقائى معه فى يوم الاثنين ١٩ من رمضان سنة ١٤٢٥هـ الموافق ٢ / ١١ / ٢٠٠٤م .
وينظر : الاتجاه الإسلامى فى شعر محمد توفيق على ، د / كمال مخلوف ، ص ٣ ، ط دار طيبة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م ، والاتجاه الوطنى فى شعر محمد توفيق على ، رسالة ماجستير للباحث / سيد أحمد عبد الرحمن ، ص ٣٦ ، مخطوط فى مكتبة كلية اللغة العربية بأسيوط ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

(٣) – ديوان الروضة الفيحاء ، ص ٩٨ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م.

(٤) – المرهفان : يقصد السيف والقلم ، والطلى : الرقاب .

ولد (محمد توفيق على) فى قرية زاويـــة المصـــلوب ، مركـــز الواسطى ، محافظة بنى سويف سنة ١٣٠٤هـــ ١٨٨٢م [١] .

بيئته ونشأته وتعليمه :

تلعب البيئة دورا بارزا فى تكوين من يعيشون فيها ، وتؤثر تأثيرا واضحا فى تكوينهم ، ولا سيما الشعراء ، حيث إنهم فى حقيقتهم ما هم إلا ظاهرة من ظواهر بيئتهم وأثر من آثارها ، لذا كان للبيئة دور فاعل فـــى تكوين أسلوب شعرائها .

ومن ينظر إلى بيئة الشاعر " محمد توفيق " على يجده قد نشأ فى بيئة ثرية بجمالها بصعيد مصر ، على الشاطئ الغربى لنهر النيل فى قرية زاوية المصلوب ، وقد صور توفيق هذا الجمال البيئى فى مقطوعة بعنوان " تلك الحلاوة " [٢]

كَم غادَةٍ يا نيلُ فـــيكَ دَفينَـــةٍ ∴ تِلكَ الحَـــلاوَةُ مِن ثَنايا الغيدِ
أَنا مِن جَميعِ الناسِ أَرفَهُ مَنزِلاً ∴ بِجِوارِهِ مِن ســـائِدٍ وَمَســـودِ
جَذلانُ مَوفـــورُ الحُبورِ مُنَّعَمٌ ∴ أَلهو وَأَرتَعُ في حِمى التَوحيدِ

وكان الشاعر محمد توفيق قد تلقى تعليمه بداية فى كتاب القريـــة حيث حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره ، ثم ألحقـــه والـــده بالمدرسة الابتدائية فى القاهرة ، ثم التحق بعد حصوله علـــى الابتدائيـــة بمدرسة الفنون والصنايع ببولاق ، إلا أنه لم يبق بها طويلا ، ولم يكمـــل

---

(١) – من حديثى مع حفيد الشاعر المشار إليه آنفا ، ويراجع مقالة بعنوان : (محمد توفيق على الفارس الشاعر) إعداد / هيئة التحرير فى مجلة برديات ، العـــدد السادس ، الصادر فى يونية ٢٠٠١م ، وهى مجلة غير دورية يصدرها نادى أدب بيت ثقافة إهناسيا .

(٢) – ديوان : قفا نبك ، ص ٦٧ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

دراسته بها ، حيث كان يهوى أن يدرس بإحدى المدارس العسكرية ، فالتحق بالمدرسة الحربية [١] .

وقد أكمل الشاعر دراسته بالمدرسة الحربية حيث كان موضع إعجاب معلميه ، وثقة رفاقه إلى أن تخرج منها برتبة ملازم ثان فى عام ١٨٩٨م فانضم إلى إحدى فرق المشاة بالجيش المصرى فى السودان [٢] .

ثقافته :

لقد نوه النقاد القدامى على أهمية الأدوات الثقافية التى يجب أن يتسلح بها من يقرض الشعر فيقول ابن طباطبا العلوى : " وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه ، فمن نقصت عليه أداة لم يكمل له ما يتكلفه منه ، وبان الخلل فيما ينظمه ولحقته العيوب من كل جهة ، فمنها : التوسع في علم اللغة ، والبراعة في فهم الإعراب ، والرواية لفنون الآداب ، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم ، والوقوف على مذاهب العرب " [٣] .

والشاعر محمد توفيق على قد رزق الموهبة والطبع السليم ، ولكنه غذى هذه الموهبة بثقافة قوية ، تتمثل فى قراءاته فى دواوين القدماء من الجاهليين والإسلاميين والعباسيين ، وقد أعجب بشعرهم الجيد واعتبره

---

(١) – ينظر : مقدمة الأعمال الكامنة لمحمد توفيق على ، ص ٩ ، ويراجع : محمد توفيق حياته وشعره ، رسالة ماجستير للباحث / محمد عبد الله عباس ، ص ٣٧ وما بعدها ، مخطوط فى مكتبة كلية اللغة العربية بالزقازيق سنة ١٩٩٢م .

(٢) – شعراؤنا الضباط ، محمد عبد الفتاح إبراهيم ، ص ١٤٨ ، مطبعة عبد الحليم حسنى ١٩٣٥م

(٣) – يراجع : عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ، ص ٦ ، تحقيق / عبد العزيز المانع ، ط دار العلوم ١٩٨٥م .

المثل الأعلى له ، وقد ظهر عنصر الثقافة العربية القديمة واضحا فى تعابيره ومعانيه وألفاظه وأغراضه ، فنجده ينفعل انفعال شعرائنا القدامى حينما كانوا يمرون على الديار وقد خلت من أهلها ، فيحيون هذه الديار لأنها كانت مربعاً للمحبوب ، وكم شهدت هذه الديار لقاء المحبوب بالمحبوبة ، فلا تجيب الديار سلاما فتذرف أعينهم الدموع على ما أصاب هذه الديار من خلاء أهلها منها فيقول (١) :

مررت على دار الحبيب مسلما ∴ وقد غاب عنها بدرها ويغيب
فلا هى ردت للمشوق تحية ∴ ولا القلب إلا أن تردُّ يطيب
يحاول أهل الأرض فيها سعادة ∴ وليس لهم غير الشقاء نصيب

وبالإضافة إلى ذلك تطلع إلى آفاق جديدة واستفاد من التيارات الشعرية المعاصرة ، ويدل على ذلك إعجابه بقصيدة شوقى التى مطلعها (٢) .

خدعوها بقولهم حسناء ∴ والغوانى يغرهن الثناء

فنجد الشاعر محمد توفيق ينظم على منوال هذه القصيدة قصيدة بعنوان (لا تجزعى) (٣) فيقول فيها :

أدمنوها بقولكم صفراء ∴ فاحذروا النار أيها الشعراء
لا تضلوا العباد فالخمر رجس ∴ قد نهى الله عنه والأنبياء

---

(١) – ديوان : ترنيم الأوتار، ص ١٧١، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .
(٢) – الشوقيات لأحمد شوقى : ٢ / ١١٢ ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، من دون تاريخ .
(٣) – ديوان : تسبيح الأطيار ، ص ٢٩٦ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

كما كان للندوات الأدبية التى كان حريصا على المشـــاركة فيهـــا دورها فى تزويده بقدر لا بأس به من الثقافة الأدبية[١] وكانت تجمعه أحيانا فى القاهرة بعض المجالس بـــ (أنطون الجميل وسليم سركيس) [٢] .

كما كان للثقافة الإسلامية أثرها الواضح فى تكوينه الشعرى حيث حفظ القرآن الكريم فى صغره ، ولا يخفى أثر القرآن الكريم فـــى تقـــويم اللسان ، وصفاء النفس ، كما لا يخفى أثره فى إعطاء قارئه الثروة اللغوية الكثيفة ، ومن يقرأ شعر " محمد توفيق على " يجد شخصية واعية بالـــدين الإسلامى وبسيرة الرسول – ﷺ – وغزواته ، ومناقب الصحابة ، ويجـــد فهما عميقا لروح الإسلام ، يدل على ثقافته الإسلامية الواعية .

ومن النماذج القوية التى تدل على وعى بإدراك حوادث الإسلام ، حديثه عن أبى بكـــر الصديق – ﷺ – حينما تولى الخلافة وكان الرسول – ﷺ – قد أعد جيشا بقيادة أسامة بن زيد لمحاربة الروم ، إلا أنه – ﷺ – قد انتقل إلى الرفيق الأعلى قبـــل إنفاذ هذا الجيش ، فلما تولى أبـــو بكـــر الخلافة ، وأراد أن ينفذ هذا الجيش لمحاربة الروم كما أعده الرسول –ﷺ– وعلى قيادته أسامة بن زيد كما أمّره الرسول – ﷺ – على الجيش حـــدث خلاف بين الصحابة – ﷺ – على خروج الجيش ؛ لأنهم كانوا يرون أنه ينبغى أن يكون أعده لمحاربـــة المرتدين أولاً ، حتى يســـتأمن جـــانبهم ، ولكن أبا بكر أبى إلا أن ينفذ الجيش كما أعده الرســـول – ﷺ – [٣] ومن ثم نجد شاعرنا يتناول هذا العمل فى قصيدته التى بعـــنوان : (الصديق)

---

(١) – حيث كان يحضر جانباً من صالون الأديبة (مى زيـــادة) . ينظـــر : مجلـــة برديات ، ص ٦٣ .

(٢) – من حديثى السالف الذكر مع حفيد الشاعر .

(٣) – ينظر : كتاب المغـــازى للواقدى ، تحقيق / مارسدن جـــونس : ٣ / ١١٢١ ، ط عالم الكتب ، بيروت .

يذكر فيها بعض مناقبه [١] :

لَولا وَفــاءُ أَبي بَكــرٍ لِأُمَّــتِهِ ∴ ما كانَ مِن بَعدِهِ الفاروقُ واليها
وَكُلُّ مَفخَــرَةٍ جَلّى بِحَلبَتِــها ∴ شَــفيعُنا فَأَبو بَكــرٍ مُصَلّيها [٢]
وَفي أُسامَةَ مِن أَخبارِهِ طرَفٌ ∴ لِلســامِعينَ وَآيــاتٌ لِواعــيها
قالوا عَلى الجَيشِ لَو أَمَّرتَ مُكتَهِلاً ∴ فَما غُــلامٌ وَنار الحَربِ يُذكيها
وَجاءهُ عَمــرٌ يَسعى فَأَوسَعَهُ ∴ شَــدّاً بِلِحيَتِــهِ الصِديقُ تَسفيها
وقال أعزل من ولى النبى أنا ∴ بئست مشورتكم لا خير لى فيها

وظيفته وعلاقته بالمجتمع :

بدأ الشاعر محمد توفيق حياته الوظيفية بعد أن تخرج من المدرسة الحربية سنة ١٨٩٨م برتبة ملازم ثان ، فالتحق بالجيش المصــرى فــى السودان سنة ١٨٩٩م [٣] ، وكانت حروب اســترداد الســودان من أيدى خلفــاء " المهدى " قد بدأت منذ مدة لإرجاع السودان إلى حوزة المملكــة المصرية [٤] وقد شارك محمد توفيق فى بعض مواقع اســترداد السودان ، وكان له دور فاعل فى هذه الحروب ، حيث أبلى بلاء حسناً وكم لقى فيها من عناء ومشقة لأجل فتح السودان واستعادته ، فيصور ذلك فى قصيدته التى بعنوان : (سودان مصر) [٥] :

كَم لَقينا في فَتحِهِ مِن عَناءٍ ∴ يَعلَمُ الغابُ يشهَدُ العَطمورُ

---

(١) – ديوان : تسبيح الأطيار ، ص ٢٧٤ .
(٢) – المجلى من الجياد فى الحلبة : السابق ، والمصلى الذى يليه .
(٣) – ينظر : شعراؤنا الضباط ، ص ١٤٨ .
(٤) – يراجع : مصطفى كامــل باعث الحركــة الوطنية ، عبد الرحمن الرافعــى ، ص ٣٣٣ ، ط دار المعارف ، ط الخامسة ١٩٨٤م .
(٥) – ديوان قفا نبك ، ص ٤٤ .

كَم سَرَينا فَلَم تَعُقنا الأَفاعي ∴ عَن سُـرانا إِناثُها وَالذُكورُ

وَاِقتَحَمنا فَلَم تَرُعنا الأَعادي ∴ وَالضَواري لُيوثُها وَالنُمورُ

وكان الشاعر محمد توفيق فى حياته الوظيفية لا يقبل الضيم ولا يستسلم ، ولا يلين للظالمين الانجليز ، ومما يدلنا على أنفته وعزته وإبائه أنه آثر الانفصال عن الجيش وهو برتبة اليوزباشى ، ولم يفضل البقاء تحت سيطرة الانجليز على الجيش المصرى فى السودان [١] فاستقال من الجيش سنة ١٩١٢م وانقطع إلى مزرعة له بالواسطى مؤثرا صحبة المحراث على صحبة السيف والقلم [٢] .

أما عن علاقته بالمجتمع فإنه لم ينعزل عن الناس فى يوم من الأيام بل كان حريصا على أن يوثق بهم صلته على محبة فى الله – تعالى – ، فكان مخلصا فى وده ، فاضلا فى أخلاقه ، سمحا فى معاملاته ، مشاركا للناس فى كل ما يمر بهم من أحداث [٣] .

كما كانت علاقته بزملائه الضباط علاقة طيبة حسنة ، وكان على النقيض من ذلك مع الانجليز ، وقد بين ذلك فى قوله [٤] :

لقد علم الأعداء أنى ربهم ∴ كما علم الأحباب أنى لهم عبد

وأما عن علاقته مع أدباء وشعراء عصره، فيذكر أحد الباحثين [٥] أن الشاعر محمد توفيق كانت تحيط به كوكبة لامعة من الأصدقاء

---

(١) – يراجع : شعراؤنا الضباط ، ص ١٤٨ .

(٢) – سمير الأدباء للأستاذ / سعد ميخائيل ، ص ٩١ ، ط جرجس حنين بالمنيا .

(٣) – من حديثى سالف الذكر مع حفيد الشاعر .

(٤) – ديوان : الروضة الفيحاء ، ص١٠٠ .

(٥) – هو الباحث محمد عبد الله عباس فى بحثه التخصصى (الماجستير) ص ٤٧ .

والشخصيات جمعته بهم صحبة السيف والقلم تارة ، وصحبة الألفة والمودة تارة أخرى ، نذكر من هؤلاء الذين ذكرهم فى شعره :

١ – أنطون الجميل [١] : حيث كانت الصلة والصداقة بين توفيق وأنطون الجميل قوية فكان كلا الرجلين معجبا بصاحبه ، وحينما أصدر أنطون الجميل مجلة الزهور سنة ١٩١٠م – وكان توفيق بالسودان – أفسح أنطون صدر مجلته لقصائد محمد توفيق التى كان يرسلها من السودان مهداة إلى المجلة ، وكان أنطون دائما يعلق عليها ويصفها بأنها الدرر [٢] وظل توفيق ينشر قصائده بها إلى أن توقفت سنة ١٩١٣م ، ومن قصائده المنشورة بها (مجد العرب) [٣] والتى منها :

كَفاكَ يا طَيرُ شَدواً هِجتَ بي طَرَباً ∴ أَما تَراني حَزينَ القَلبِ مُكتَئِبا

نَفسي تَتوقُ إِلى العَلياءِ إِذ عَلِمَت ∴ أَنّي اِمرؤٌ وَرِثَت أَخلاقُهُ العَرَبا

إِنّي لَأَعجَبُ مِمَّن يَستَخِفُّ بِنا ∴ أَن لا يَرى خُطَّةَ اِستِخفافِهِ عَجَبا

سَلوا القُرونَ الخَوالي عَن مَفاخِرِنا ∴ سَلوا الرِماحَ سَلوا الهِندِيَّةَ القُضُبا

فَجاءَنا زَمَنٌ صِرنا بِهِ خَدَما ∴ لِغَيرِنا وَغَدَت أَرواحُنا سَلَبا

وَأَصبَحَ الشَرقُ لا تَحلو مَوارِدُهُ ∴ لِأَهلِهِ وَيَراها غَيرُنا ضَرَبا

لَو أَنَّ لِلشَرقِ رُوحاً أَو لَهُ كَبِداً ∴ تَرِقُّ بِثَّ أَسى شَكواهُ وَاِنتَحَبا

---

(١) – هو أنطون بن جميل بن أنطون من آل الجميل ، كاتب صحفى ، ولد ببيروت سنة ١٨٨٧م ، وانتقل إلى مصر ، واشترك مع أمين تقى الدين فى إصدار مجلة الزهور ، تولى رئاسة تحرير الأهرام ، توفى بالقاهرة ١٩٤٨م .
[ينظر : معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣ / ١٩ ، ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت] .

(٢) – مجلة الزهور ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٠ ، عدد يناير سنة ١٩١٣م .

(٣) – ديوان : قفا نبك ، ص ٥٠ .

٢ – (مى زيادة) [١] : فقد تعرف عليها أثناء حضوره لأحد صالوناتها الأدبية ، وقد كان لها الأثر البالغ فى فن توفيق ؛ إذ إن أغلب شعره الغزلى كان يخصها به ، متغنيا فيه بجمالها وأدبها الجم ، متمنيا الوصل بها والقرب منها ، متألما من بعدها ، ومن ذلك قوله [٢] :

وأنا الذى أحببت صورة غادة ∴ زارت خلال صحيفة ومداد

شاهدت فيها الحسن باح بسره ∴ والفضل – حى على الفلاح – ينادى

قل للألى يرجون فضل تعقلى ∴ ويؤملون هدايتى ورشادى

قد بات مفتونا بطيف أديبة ∴ من كان يعرف قبل فى الزهاد

٣ – حافظ إبراهيم [٣] : فقد كانت الصلة بينه وبين توفيق صلة وثيقة حيث كانت خدمة (حافظ) – باعتباره ضابطا فى الجيش من عام ١٨٩١م إلى عام ١٩٠٣م – فى السودان قرابة السنتين فى وقت كان توفيق بها أيضا ، وحينئذ يكون توفيق إما تعرف عليه هناك أو فى بعض لقاءاته به فى القاهرة، حيث كان حافظ بمثابة الأستاذ لتوفيق ، فكان الأخير يعرض عليه شعره ليبدى له فيه ما يراه ، ومن شعر توفيق الذى يدل على ذلك [٤] :

---

(١) – هى : مارى بنت إلياس زيادة ، وتعرف بمى زيادة ، أديبة وكاتبة ، أصلها من لبنان ، وولدت بفلسطين ١٨٨٩م ، وانتقلت إلى مصر مع أبويها ، كانت تجيد عدة لغات ، صحبت عددا من الأدباء والشعراء والمفكرين ورحلت إلى أوروبا ، وتوفيت بالقاهرة ودفنت بها عام ١٩٤١م.
[ينظر : معجم المؤلفين : ٨ / ١٦٥] .

(٢) – ديوان السكن ، ص ١٧٧ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

(٣) – هو محمد حافظ بن إبراهيم فهمى المهندس ، شاعر مصرى ، ولد سنة ١٨٧١م ، وتعلم فى القاهرة ، لقب بشاعر النيل ، له ديوان شعر مطبوع ، توفى سنة ١٩٣٢م . [ينظر ترجمته فى : تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات ، ص ٣٧٤ ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٣١٤هـ ١٩٩٣م] .

(٤) – ديوان ترنيم الأوتار ، ص ٢٤١ .

أحافظ هل ترى زندى متينا ∴ إذا جاذبتنى حـــبل القـــوافى
أم الأقلام تضحك من بنانى ∴ كضحك الأقوياء من الضعاف
أيحـــفظ عهـــده قلمى فإنى ∴ أظن السيف ليس يفى لواف
ولى قلب يطـــير إليك حبا ∴ وأضـــلعه القوادم والخوافى

وهكذا كانت علاقة محمد توفيق بشعراء وأدباء عصره وعلاقتهم به هى المودة والإخلاص والوفاء .

وفاتـــه :

أصيب الشاعر " محمد توفيق على " بمرض القلب وقد ألح عليـــه فى سنواته الأخيرة ، فلازم الفراش مدة طويلة ، ولا سيما فى فصل الشتاء وكانت حالته تسوء عاما بعد عام ، وقد أشارت جريدة الأهرام إلى مرضه هذا حينما نشر قصيدته (شاعر النيل) فى رثاء حافظ إبراهيم فى ذكـــراه الثانية وكان ذلك عام ١٩٣٤م وعللت الجريدة بأن الشاعر توفيق حينمـــا مات حافظ عام ١٩٣٢م كان مريضا وعاجزا عن رثاء زميله فى الجـــيش وأستاذه فى الأدب ، فلذلك لم يقدر على رثائه حين مات [١] ، وفى اليـــوم الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ألف وثلاثمائة وخمس وخمسين من الهجرة الموافق الحادى عشر من شهر يناير عام ألف وتسعمائة وســـبعة وثلاثين من الميلاد مات الشاعر محمد توفيق على ، وفاضت روحه إلـــى بارئها فى بلدته ومسقط رأسه زاوية المصلوب ودفن فى مدافن عائلته على الشاطئ الشرقى لنهر النيل [٢] .

دواوينه الشعرية :

---

(١) – جريدة الأهرام، ص ٧ عمود ١ ، ٢ العدد ١٧٨٢٨ بتاريخ ٢٧/ ٧/ ١٩٣٤م .
(٢) – ينظر : مقدمة الأعمال الكاملة للشاعر محمد توفيق ، ص ١٣ .

للشاعر محمد توفيق على دواوين شعرية خمسة ، مجموعة ومطبوعة فى مجلدين تحت عنوان : (الأعمال الكاملة للشاعر محمد توفيق على) .

يضم المجلد الأول منها ثلاثة دواوين ، هى :

١. ديوان قفا نبك فى ذكرى الحبيب والمنزل .
٢. ديوان السكن بين جمال الحبيب وجلال الوطن .
٣. ديوان تسبيح الأطيار فى العظات والحكم ومدائح المختار- ﷺ - .

بينما يضم المجلد الثانى الديوانين الآخرين ، وهما :

٤. ديوان الروضة الفيحاء .
٥. ديوان ترنيم الأوتار .

وقد قامت الهيئة المصرية العامة للكتاب بطباعة المجلد الأول عام ١٩٩٦م والثانى عام ١٩٩٧م .

نماذج من أشعاره

إذا أمعنا النظر فى مصادر شعر توفيق التى تكونها الدواوين الخمسة ، لوجدنا أنه نظم فى موضوعات شعرية متعددة فنرى : المدح ، والفخر، والهجاء ، والرثاء ، والشكوى ، والعتاب ، والغزل ، والوصف ، والشعر الوطنى ، والشعر الدينى ، وشعر الحكمة والتأمل ، وكلها موضوعات متنوعة الجوانب تدل على موسوعية الشاعر وطول باعه فى النظم ، فنراه يمدح صديقه الشاعر محمد فاضل [١] فى قصيدة بعنوان : (أستاذى الأديب) [٢] والتى منها :

لئن أمست بى الأيام تجرى ∴ على الدنيا إلى شأوٍ قريب
فإنى قد قنعت من الليالى ∴ بإخلاص لإستاذي الأديب
بإخلاص لفاضل ذى الأيادى ∴ وذى العزمات والرأى النجيب
أخ يرعى ودادى حين أدنو ∴ ويحفظ حين أنأى للمغيب
كريم الجد محسود السجايا ∴ مصفى المجد كالذهب الرغيب

كما نراه يفتخر بأخلاقه العربية الأصيلة التى هذبها دين محمد – ﷺ – فيقول [٣] :

---

(١) – هو شاعر مغمور كان معاصرا لتوفيق ، لم يأت فى الأعلام ترجمة له ، ولم يكتب عنه سوى محمد عبد الفتاح إبراهيم فى كتابه : شعراؤنا الضباط ، فقال : إنه ولد فى القاهرة ونشأ بصعيد مصر ، وحفظ القرآن الكريم ، والتحق بالأزهر ، ثم راقته حياة الجندية ، فالتحق بالمدرسة الحربية ، زامل فيها حافظ إبراهيم ، وخرج من المدرسة الحربية برتبة الملازم سنة ١٨٩١م ، وقضى فى السودان ثلاثين عاما نال خلالها رتبة اللواء . [يراجع : شعراؤنا الضباط ، ص ١٣٦] .

(٢) – ديوان : ترنيم الأوتار ، ص ٢٢٩ .

(٣) – ديوان : الروضة الفيحاء ، ص ١٠٣ .

لا كنت يوم أكون غير مهذب ∴ سمح الخلائق ما جد الأحساب
راضت مكارم دين أحمـد فى دمى ∴ أقصى جمـاح خلائق الأعراب
فى ذروة المجد المؤثل منصبى ∴ وعلى جـباه المكرمات ترابى

وفى الهجاء نراه يتوجه إلى القضاة فيتعرض لمن لم يقم بواجبـه منهم ، ويصف خراب ذممهم حتى ينزل القاضى فى بعض الأحيان إلـى منزلة اللصوص حتى لا يكون هناك فرق بينه وبين اللص ، ومن ثم يقدم لهم النصح والإرشاد فيقول [١] :

من ينصر المظلوم قل نصيره ∴ إن قـيل قاضٍ يسـتبد ويظـلم
تعنو الوجوه له وتحت وشاحـه ∴ لص يغير مع اللصوص ويقسم
أرجى وأسلم عضة من حاكم ∴ متحـيز صـل تعـض وأرقـم
أحـرى بقاضٍ أن يخاف ضلالة ∴ ولو أنـه يوحى إلـيه ويلـهم
هذا مقام المرسـلين ورتبـة ∴ شمخت وقصر عن علاها المرزم [٢]

ومن موضوعات شعره البارزة (الرثاء) وذلك يرجع إلى رقـة مشاعره وإحساسه بالمصاب ، وقد رثى والده بقصيدة طويلة ، يذكر فيهـا صفاته ومآثره فيقول فيها [٣] :

يا أحمد بن على كنت مقداما ∴ تنبو السيوف وتمضى أنت صمصاما
وللمسـاكين أنهـارا وفاكهة ∴ وكنت سجنا لمن يطغى وإعداما
وللزكاة وحـج البيت محتسبا ∴ وكـنت لله صـواما وقـوامـا
لك المواقف بأسا حين يذكرها ∴ هيابة القوم يلقى الموت بساما
لك المناقب جودا لست أحصرها ∴ ولو بريت نبات الأرض أقـلاما

---

(١) – ديوان : السكن ، ص ١٥٢ .
(٢) – الصل : الحية ، الأرقم : الثعبان ، المرزم : نجم فى السماء .
(٣) – ديوان : الروضة الفيحاء ، ص ٢٩ .

ومن شعر الشكوى لدى توفيق قصيدته التى قدمها لوزير الحربية (إسماعيل سرى باشا) [١] حينما زار مدينة الخرطوم ، وقد بين له فيها ما تحمله الضباط فى سبيل فتح السودان ومع ذلك لم ينالوا حقوقهم فى هذه البلاد فيقول [٢] :

أهلا بناظرنا الوزير ∴ ومهندس النيل الشهير
نحن الذين عرفتهم ∴ فى كل طاحنة تدور
أصلح مدارسنا وعلمنا ∴ فإن العلم نور
وأرفع وظائفنا فإن ∴ الفقر داعية الشرور
وانظر لقانون المعا ∴ ش فإنه الجد العثور
هل بعد ستين يطيب ∴ العيش أو ترجى الأمور
لا خير فى ذاك المعا ∴ ش لغير سكان القبور

أما عن الجانب الغزلى فى شعره ، فإننا نرى توفيقا وقد رسم صوره لمحبوبته هى صورة غير تقليدية ، لم يتبع أحدا فيها ، فهى فى العالم العلوى ، ترشف من الغمام وتسبح فى عالم الأرواح ، طلعتها نور من قبس يجذب الروح فيقول [٣] :

جاز لى فى هواك كل اعتقاد ∴ لم يجز فى سوى الهوى والهيام
أنت بين الإنسان والملك الطا ∴ هر بين الأرواح والأجسام
وهى لا تأكل الطعام ولكن ∴ تتغذى برشف ريق الغمام
ملك ؟ ليس للملائك ظل ∴ بشر ؟ كيف نورت فى الظلام

---

(١) – هو إسماعيل سرى باشا مهندس مصرى من الوزراء العلماء، حجازى الأصل، ولد بالمنيا عام ١٨٦١م ، وتدرج فى الوظائف إلى أن كان وزيرا للأشغال والحربية ، وتوفى بالقاهرة عام ١٩٣٧م . [يراجع : الأعلام : ١ / ٣١٤] .

(٢) – ديوان : ترنيم الأوتار ، ص ١٩٤ .

(٣) – ديوان : ترنيم الأوتار ، ص ١٦٩ .

بين أهل السماء والأرض سر ∴ يتجلى فى لطف هذا القــوام

أى فرق لو ترفع الحجب عنا ∴ بين هذى وحــور دار السلام

كما احتل غرض الوصف جانباً كبيرا من فــن توفيــق ، حيــث تعددت ألوان الوصف عنده ، فنراه يصف مشــاهد متعــددة ، كوصــف الطبيعة ، ووصف المدن والممالك ، وغير ذلك من مشاهدات وقعت عليها عينه خلال حياته ، ومن أمثال ذلك قوله فى قصيدة يصف فيها مصــر ، وقد حف بها الجمال بالمليكة التى ملكت سلطانا لا حــدود له ولها بســاط من جنات وتيجان من كثبان ، وصولجان من نخيل ، أما لواؤها فهو عال لا يدان [١] :

جلست على عرش البهاء مليكة ∴ ســلطانها عرض السنا والطول

تيجانها كثبــانها وبســاطها ∴ جــناتها والصــولجان نخــيل

ولواؤها بيــد الثريــا خافق ∴ وســريرها فوق السها محمول

وقف على مصر الجمال فعشقها ∴ فضل وعشــق الغانيات فضول

كملت محاسنها وعظم شأنها الــ ∴ قــرآن والتــوراة والإنجيــــل

وأجاد حتى ليس يلحق حافظ ∴ فيهــا وأعجــز أحمــد وخليل

وأتيت بعدهم أحاول وصــفها ∴ فسطا الجمال فحرت كيف أقول

أما إذا اتجهنا إلى شعر توفيق الوطنى وجدناه من الأبواب الشعرية الواسعة عنده ، مضى يعبر فيه عن كل أحوال أمته وحوادثها ، فهو يؤازر الوطنيين ، ويتحدث عن الأزمات الوزارية ، وعن البرلمان والانتخابات ، وعن الظلم الواقع على الشعب وعن حاضر العرب وماضيهم ... الخ .

وترجع قيمة شعره الوطنى والقومى إلى أنه يعتبر ســجلا حــافلا بأحداث عصره بكل ما دار فيها ، فالقصائد الوطنية إلى جانب أنها عمــاد

---

(١) – ديوان : السكن ، ص ١٧٠ .

الأدب وتاريخه ، هى قطعة من تاريخ الحركة الوطنية وعنصر من عناصر بعثها وتطورها ، وقصائده تملأ النفوس إيمانا بالوطن وتجعلها تتفانى فى أداء الواجب نحوه ، ونستطيع أن نقول : إن محمد توفيق قد تأثر فى شعره الوطنى والقومى بالرعيل الأول من الشعراء ومنهم البارودى وشوقى وحافظ وغيرهم حيث دار شعره حول الإشادة بالوطن والتغنى بحريته والدعوة إلى حكم الشورى والدستور ، وتمجيد الوطنيين والمجاهدين ... الخ (١) .

ولهذا كان توفيق من الشعراء الذين ألهبوا حماس الحركة الوطنية وكالوا للاستعمار الضربات المتوالية التى أرهقت قواه ، فها هو ذا يندد بمظالم الاحتلال واستبداده فى مطولته (آلام الأمة وآمالها) ويقول (٢) :

رَبِّ إنّا نَضِجُّ مِن ظُلمِ قَومٍ ∴ مَلَأَ الأَرضَ ظُلمُهم وَالشُرورُ
فَأَجِرنا مِنهُم فَإِن لَم تُجِرنا ∴ فَبِمَن غَيرِ رَبِّنا نَستَجيرُ
كَم مَواعيدَ بِالجَلاءِ وُعِدنا ∴ فَأَتى البَعثُ قَبلَهُ وَالنُشورُ
لَو عَلى الطُورِ بَعضُ ما حَمَّلونا ∴ مِن أَذى حُكمِهِم لَدُكَّ الطّورُ
نِصفُ قَرنٍ أَهرامُنا فيهِ شاخَت ∴ وَهيَ بِكرٌ لَم تَفتَرِعها العُصورُ
سَرَقوا النيلَ هَل رَأَيتَ طُغاةً ∴ بعضُ ما يَسرِقونَ نَهرٌ شَهيرُ

وينعى الشاعر على المصريين هذا الخزى والتواكل والركون حتى أصبح لا يتحرك فيهم ساكن ، فالموت خير لهم مما هم فيه بدلا من العيش بدون فائدة فيقول (٣) :

---

(١) – يراجع : الاتجاه الوطنى فى شعر محمد توفيق على ، ص ٦٣ وما بعدها .
(٢) – ديوان : قفا نبك ، ص ٤٠ .
(٣) – ديوان : السكن ، ص ١٨٥ .

كره الموت أهل مصر لدعوى ∴ قــد أقامــوا لهم عليها دليلا
إنهم يســكنون جــنة رضــ ∴ ــوان ولا يبتغون عنها رحيلا

كما أنه أيضا لا ينظر إلى أهل وطنه هذه النظــرة الســوداوية ، فهناك الأمل ولا وجود للمستحيل ، فهو ينفث فيهم الروح كى يعودوا إلى حياة لا يهون فيقول (١) :

وَاِعلَموا إِن صَبَرتُمُ وَاِتَّفَقتُم ∴ أَنَّ يَومَ الجَــلاءِ غَــيرُ بَعــيدِ
هَل يَعوزُ اِنتِصارَنا غَيرُ نَزرٍ ∴ مِن جِهــادٍ وَغَيرُ ضَمِّ الجُهودِ
إِنَّما المُستَحيلُ ما قالَ نابو ∴ لِيونُ وَهمٌ ما إِن لَهُ مِن وُجودِ

وهكذا نجد أن حب الوطن وبغض الاستعمار ألهبا شعور الشاعر محمد توفيق ففاض قلمه بالكثير من القصائد الوطنية .

أما شعره الإسلامى فإن من يمعن النظر فى ديوان الشاعر محمد توفيق يجد أن العاطفة الدينية قد أمدته بنبع ثر من المشاعر والأحاســيس الدينية التى تجلت فى معظم شعره حيث ملكت عليه هذه العاطفــة حياتــه الفنية إذ بلغت جملة عدد أبيات الشعر الإسلامى فى ديوانه أكثر من ألفــى بيت ، وإن من ينظر إلى هذا الشعر يرى أبرز محاوره تدور حول الزهد فى الدنيا والإقبال إلى الآخرة ، وذكر الموت والقبر ، والحث على الجهاد فى سبيل الله ، والدعوة إلى العمل الصالح والأخلاق الحسنة والبعد عــن المحرمات ، كذلك من المحاور الرئيسة فى شعره الإســـلامى المــديح النبوى ، حيث كانت لشخصية النبى – ﷺ – الكفة الراجحة فــى شــعره الإسلامى لحبه وإعجابه بها ؛ إذ هى أعظم شخصية على مستوى البشــر

---

(١) – ديوان : قفا نبك ، ص ٩٥ .

فهو – ﷺ – المثل الأعلى والقدوة الحسنة ، ومن ذلك قصيدته التى يمـــدح بها الرسول – ﷺ – والتى منها [١] :

أُجِلُّكَ عَن مَدحي وَأُغليكَ عَن شِـــعري ∴ **فَإِنَّكَ مَمدوحٌ مِنَ اللَهِ في الذِكرِ**
رَأى اللَهُ عَجزَ الناسِ عَن شُكرِ أَحمَدٍ ∴ **فَقَـــامَ تَعـــالى بِالثَناءِ وَبِالشُكرِ**
فَأَثنى عَلَيكَ اللَهُ في سورَةِ الضُحى ∴ وَأَثنى وَكَـــم أَثنى وَفي سورَةِ الحَشرِ
فَلَو لَم يَكُن فَرضاً مَديحُكَ عاقَني ∴ قُصـــوري وَكانَ العَجزُ في تَركِهِ عُذري
فَلَبَّيكَ رَبّي ذا ثَنـــائي وَلَم يَكُن ∴ عَلى قَدرِهِ حَمدي وَلَكِن عَلى قَدري

ومن مدائحه للرسول – ﷺ – قوله من قصيدته الميمية النبوية [٢]:

طيف سرى فشفى صباً من السقم ∴ **سرى الهموم وجلى حالك الظلم**
متمم الخلق من حسن ومن عجب ∴ **مكمل النور من علم ومن حكم**
أرنـــو إليه فتصبينى مناظره ∴ **فأخفض الطرف إجلالا لذى العظم**
فى موقف بكمال الحسن متشح ∴ **بالطهر مؤتزر بالصدق معتصم**
حتى إذا سكنت نفسى سموت له ∴ **أرعى الجمال وأخشى زلة القدم**
لا أكذب الوصف بدرالتم يعشقه ∴ والشـــمس رأد الضحى من أطوع الخدم
وأين للبدر منه سحر مكتحل ∴ **وأين للشمـــس منه در مبتسم**

وإذا ما نظرنا إلى شعره الدينى فى الزهد والحكم والتأمل ، وقـــد جاء معظمه على شكل مقطوعات نجده يقول فى مقطوعته (تبت إليك)[٣] :

تُبتُ رَبّي إِلَيـــكَ مِن كُلِّ ذَنب ∴ **وَاِهـــتَدى ناظِري وَأَبصَرَ قَلبي**
وَاِعتَزَلتُ الوَرى فَمالِيَ مِنهُم ∴ **مِن صَـــديقٍ يَزورُني أَو مُحِـــبِّ**

---

(١) – ديوان : تسبيح الأطيار ، ص ٢٦٦ .
(٢) – السابق ، ص ٢٤٣ .
(٣) – السابق ، ص ٣١٩ .

لي في أَوجهِ الطَبيعَةِ ما يَمــ ∴ ــلأُ عَيني حُســناً وَيُبهِــرُ لُبّي
وَإذا تُقتُ لِســـــماعِ فَلي في ∴ مَنطِقِ الطَــيرِ كُلُّ مُشجٍ وَمُصبِ
وَإذا ضاقَتِ البَسيطَةُ في عَيــ ∴ ــني فَذِكــرُ الإِلَــهِ يفرِجُ كَربي

وفى مقطوعته (غرائب) نراه يتأمل فى بواطــن صــنف مــن الناس ، فما أظلم طويتهم ، وما أخبث أسرارهم ، وما أفسد تصــرفاتهم ، وكم يصعب علاجهم يقول [١] :

غَرائِبُ الدَهرِ شَتّى لا عِدادَ لَها ∴ وَأَغرَبُ الدَهر ما فيهِ مِنَ الناسِ
يا وَيحَ لِلناسِ ما أَدجى ضَمائِرَهُم ∴ عَــزَّ الدَواءُ وَذَلّت خِبرَةُ الآسي

وبعد تأمله هذا نراه يقدم لنا العلاج الناجح فــى سياســة النــاس ومعاملتهم فيقول :

فَصارِمِ الناسَ تَسلَم مِن مَكائِدِهم ∴ وَاِجعَل نَصيبَكَ مِنهُم صُحبَةَ الياسِ

---

(١) – السابق نفسه .

المبحث الثالث

الأبنـــاء

أولا : محمود محمد توفيق على :

كانت الجينات الوراثية وراء موهبته الإبداعية وولعه بالتعبير عن الذات والموضوع شعرا ، فهــو ابن الشاعر الكبير (محمد توفيق على) الذى عاصر مدرسة الإحياء الشعرى ويعد من طبقة شـــوقى وحــافظ ، وهو مثل رائد هذه المدرسة محمود سامى البارودى رب السيف والقلم ، إذ كان ضابطا فى الجيش المصرى عرف بنزعته الوطنية ونظمــه قصــائد هجائية لسلطة الاستعمار الإنجليزى ، مما جر عليه نقمتها فأحيــل إلــى الاستيداع ثم إلى المعاش وهو فى ريعان شبابه ، ثم تفرغ للزراعــة فــى ضيعته ببلدته .

ومن الطبيعى أن تنعكس هذه النشأة علــى (محمــود توفيــق) وأشعاره ، كما كان هناك رافد آخر غذى شريان الحياة والفكر والشعر فى حنايا قلبه وخلايا عقله ذلك هو ســر الطبيعة الريفية التى طالمــا خلبــت ألباب المبدعين ، تلك هى العوامل الوراثية والبيئية التى كانت المكونــات الأساسية لحياة محمود توفيق وشعره .

مولده ونشأته وثقافته :

ولد الشاعر محمود توفيق فى ٢١ يونية ١٩٢٦م فى قرية زاوية المصلوب الواقعة على ضفة النيل فى محافظة بنى سويف فى شمال صعيد مصر .

وبعد ميلاده بثلاثة أيام ماتت أمه ، ثم مات أبوه وهو فــى ســن الحادية عشرَةَ ، فعاش يتيما ، ثم انتقل إلى القاهرة ليلتحق بالتعليم الثانوى ثم الجامعى وتخرج من كلية الحقوق سنة ١٩٥١م .

بدأ اهتمام محمود توفيق بالشعر منذ صباه الباكر ، وذلك من خلال تأثره بما كان يقرأه من شعر والده ، ثم من خلال اطلاعه بعد ذلك على الشعر العربى ، قديمه وحديثه ، وما أتيحت له قراءته من الشعر الأجنبى ، وخاصة الشعر الانجليزى ، وبدأ يكتب الشعر وهو فى المدرسة الثانوية وينشر قصائده فى صحيفة المدرسة ، أو يلقيها فى المناسبات المدرسية على زملائه وأساتذته .

كما بدأت مشاركة محمود توفيق فى النضال الوطنى ضد الاستعمار البريطانى وهو طالب بالمدرسة الثانوية ، حيث شارك فى الإضرابات والمظاهرات الطلابية ضد الاستعمار وضد الحكم الملكى الاقطاعى الموالى للاستعمار ، وانعكس ذلك على شعره منذ قصائده الأولى ، وقد أدت به اهتماماته الوطنية إلى الارتباط الفكرى والنضالى بالجماعات الثورية منذ بداية دراسته الجامعية سنة ١٩٤٥م ، وشارك فى النضال الثورى الوطنى والاجتماعى ، سواء فى مجال الحركة الطلابية أو فى المجال الوطنى العام ، وانعكس هذا الموقف الفكرى والنضالى على شعر محمود توفيق ، واتخذ من شعره سلاحا للنضال الثورى ومرآة تعكس نضال شعبه من أجل الديمقراطية والعدالة ، ومنذ ذلك الحين بدأت قصائده الثورية تنشر فى المجلات التى ظهرت فى النصف الثانى من الأربعينات وفى أوائل الخمسينات مثل مجلات : أم درمان ، والفجر الجديد ، والجماهير ، والملايين ، والكاتب ، ومن خلال تلك القصائد أخذ محمود توفيق يحتل مكانة كواحد من أبرز رواد الشعر الثورى فى مصر ، وقد جر عليه شعره الثورى الكثير من المتاعب فعرف محمود توفيق السجن والاعتقال والمحاكمات ومطاردة السلطات له مرات عديدة .

عمل محمود توفيق بالمحاماة بعد تخرجه ، كما عمل بالكتابة للسينما ، ثم مسئولا فى القطاع السينمائى ، وهو يعمل حاليا بالمحاماة ،

ومستشارا لمنظمة شعوب أفريقيا وسكرتيرا عاما للجنة المصرية للتضامن الأفريقي والآسيوى ، كما أنه زوج ورب أسرة [١] .

دواوينه الشعرية :

انعكست حياة محمود توفيق على شعره ، فكان هذا الشعر مرآة لهذه الحياة بكل ما فيها من آلام وآمال ومشاعر واهتمامات ، ورغم أن معظم قصائده كانت تنشر فى حينها فى الصحف والمجلات الكبرى فى مصر، وخاصة فى الصفحة الأدبية لجريدة الأهرام فى السنوات الأخيرة ، إلا أن الظروف المضطربة التى مرت بها حياته ، قد حالت دون جمع أشعاره ونشرها إلا فى وقت متأخر ، فلم يظهر ديوانه الأول (أعياد) إلا فى عام ١٩٦٤م ، وهو من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، كما أصدرت له الهيئة المصرية العامة للكتاب ثلاثة دواوين تباعا ، وهى : (أنشودة الوادى المقدس) سنة ١٩٨٥م ، وديوان (ما بعد الحب) سنة ١٩٨٦م ، وديوان (قصائد فى الحب والحزن) سنة ١٩٨٧م ، كما أصدرت له الهيئة العامة لقصور الثقافة ديوانا بعنوان : (دمع على طلل) عام ٢٠٠٠م .

---

(١) – من مذكرات الشاعر محمود محمد توفيق ، ص ١ – ٥ .

نماذج من أشعاره

الدواوين الخمسة للشاعر محمود توفيق برهان فنى ساطع الدلالة على أن الشعر عنده ليس مجرد صنعة للإمتاع وإزجاء أوقات الفراغ ، ولا هو ترف يزدهى به صاحبه أو غزل مقصور على عشق المرأة فحسب ؛ بل إنه رسالة وطنية وإنسانية تعمق وعى القارئ كما تسحره فى نفس الوقت بمواطن جمال الشعر .

وقد عبر محمود توفيق فى قصيدته التى رثى فيها الشاعر والكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى عن نظرته أو نظريته هذه وهى ما يسميه النقاد (وظيفة الشعر) وقد صورها محمود توفيق فى المقطع الآتى من قصيدته الرثائية المشار إليها والتى تدل على أن الإبداع الشعرى له دوره المؤثر فى المجتمع والحياة وإلا فقد أهم خصائصه بل جوهره [١] :

تبوأت عرش الشعر فارتد للصبا ∴ فأنت أمير الشعر والأم والأب

حدائق من ورد الكلام غرستها ∴ تفيض على الدنيا عبيرا وتسكب

خلعت عليه النبل لفظاً وغاية ∴ فصار له فى النيل شرع ومذهب

إذا الشعر لم يحى المكارم والعلا ∴ فلا خير فيه حين يروى ويكتب

كما يعبر عن غاية الشعر مرة أخرى مضيفا إليه خاصية ثانية وهى الصدق الشعورى والصدق الفنى ، بمعنى أنه لا يكتب قصائده ، ولكنها هى التى تكتبه إذا صح التعبير ، وذلك فى المقطع الأخير من تلك القصيدة إذ يقول :

حنانيك هذا الشعر ذوب مشاعر ∴ يفيض بها الود القديم المجرب

وحقك ما صاغ اليراع حروفه ∴ ولكنها من مهجتى تتصبب

---

(١) – ديوان : قصائد فى الحب والحزن ، ص ٣٦٥ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .

يجيش بها بحر الصبابة والهـوى ∴ وأمواجـه تمـلى علىّ فاكتب
فإن يرفع الشعر الرجال فإنه ∴ بذكرك يعلـو قدره حين ينسب
ولسـت به أبغى الفخار وإنما ∴ لروحـك فى عـليائها أتقرب

فالكثرة الغالبة من القصائد التى تضمنتها الدواوين تنبع من عاطفة صادقة جياشة سواء كانت خطابا لمصر أو لوطن آخر أصابته محنة ، أو لحبيب ، أو لصديق راحل ... ومن النماذج الدالة على هذه الخاصية قوله فى قصيدته (رسالة حب) (١) :

شـاءت الأقدار أن تجمعنا ∴ فتلاقـينا وفى العمر بقية
وعلى دجـلة كان الملتقى ∴ يوم أسلمتك قلبى يا تقية
كان فى الروضة أنس وشجىً ∴ وقطوف من ثمار عسجدية
ونسـيم الليل سحر خالص ∴ يتناهى من أصول بابلية
وأنا فى نشـوة لا تنقضى ∴ تملأ النفس بأشواق خفية
فرأت عـيناى صبحاً طالعاً ∴ وتلاقت بالعيون الأمهرية
نظـرة واحـدة .. لكنـها ∴ بعثت كل الرمـوز الأبدية

أما قصيدته : (ليلى المريضة بالعراق) التى يصور فيها المحنة الإنسانية لشعب العراق تحت وطأة الحصار ، يقول (٢) :

" يقولون ليلى بالعراق مريضة" ∴ فقلبى جريـح عندها وكسير
كفى شـجنا أن العراق مكبل ∴ رهـين بأغلال الهموم أسير
تحف به الأنواء من كل جانب ∴ ويغشـاه ليل بالشقاء مرير
فواحزنا لو ينفع الحزن والأسى ∴ وتشفى من الهم الثقيل صدور
أيهلك أبنـاء هـناك وإخـوة ∴ وليس لهم فى النائبات نصير

---

(١) – السابق ، ص ٣٢٠ .

(٢) – ديوان : دمع على طلل ، ص ٢١ ، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠م.

أتفنى ذراريهم وتشقى نساؤهم ∴ ونحن قعــود هاهنا وحضور

معــاذ إخــاء بيننا وأواصــر ∴ غذتها أصول بالهوى وجذور

" دم الود والقربى وإن كان ظالما " ∴ عزيــز علينا سفكه وعسير

وفى هذه القصيدة بدا توظيف الشاعر للتراث العربى ، فقد اختار شطرا من الشعر القديم له دلالة انفعالية مناسبة للموقف ، وهــذا الشــطر الذى بدأ به القصيدة هو لمجنون ليلى: " يقولون ليلى بالعراق مريضة " (١) وقد جاء فى مكانه الصحيح فى مفتتح القصيدة ، واتفق مع وزن القصيدة ، وكذلك كان التوفيق فى التوظيف ، فالموضوع يكاد يكــون واحــداً بــين الشاعرين وهو آلام من يعيش على أرض دجلة والفرات .

وفى قصيدته (فى نجوى الرسول) يقول (٢) :

يقصر الشعر.. ويرتج اللسان ∴ كلما حاولت أن أسمو لذاتك

يا رسول الله أعيانى البيان ∴ فأعرنى نفحــة من نفحــاتك

ثم يواصل شعوره الإيمانى الصادق فيقول :

هل وراء الكون إلا فاطر ∴ شامل القدرة خلاق عظيم

أم وراء الخلــق إلا غاية ∴ ونظام ســنه البارى العليم

ثم يختم قصيدته قائلا :

حينما تصمت أبواق الضلال ∴ ويكف الخــلق عن كل جدال

ويزول الكــل .. إلا واحداً ∴ وجهــه خير.. وحق وجلال

---

(١) – ديوان : مجنــون ليلى ، جمــع وتحقيق وشرح / عبد الستار أحمد فــراج ، ص ٨٦ ، ١٦٣ ، ٢٣٧ ، ط دار مصر للطباعة ١٩٧٩م .

(٢) – ديوان : ما بعد الحب ، ص ٢٤٧، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م .

ثانيا : على محمد توفيق على :

لقد كانت العوامل الوراثية والبيئية وراء المكونات الأساسية لحياة الشاعر (على توفيق) فهو ابن الشاعر الكبير محمد توفيق على الذى يعد من طبقة شوقى وحافظ، ورائداً من رواد مدرسة البعث والإحياء الشعرى.

ولد الشاعر " على توفيق " فى بلدة زاوية المصلوب ، مركز الواسطى ، محافظة بنى سويف فى منزل بجوار النيل وسط ضيعة كبيرة كانت أسرته تمتلكها .

كان الشاعر " على توفيق " كفيف البصر ، وقد تلقى تعليمه فى كتاب القرية ، حيث حفظ القرآن الكريم فى صغره ، وكان له الأثر فى تقويم لسانه وتصفية طبعه وتنشأته على حب الفضيلة ، والتحلى بالخلق والسلوك القويم كما ينشأ ابن الريف حيث التربية الصالحة فى ظلال أهل كرام يكدحون فى حقولهم ولا يعرفون بينهم العداوة والبغضاء .

فنشأ الشاعر على توفيق وقد ورث عن هذا الجو الدينى الروح الإيمانية الخالصة وظهر ذلك واضحا فى شعره حيث حب الرسول- ﷺ - والتعلق بسيرته الطيبة .

وأما ميوله الأدبية فنشأت من خلال استماعاته إلى أشعار أهل التصوف بالإضافة إلى موهبته الفطرية الموروثة ، ولذلك يعد الزهد والتصوف من المعانى الشعرية الواسعة التى طرقها الشاعر على توفيق [١] .

فها هو ذا يصوغ أبياتا يمدح فيها الرسول - ﷺ - [٢] ، فيقول :

---

(١) - من حديثى السالف الذكر مع حفيد الشاعر محمد توفيق على .

(٢) - من مخطوطات الشاعر على توفيق .

ولئن يصاغ الدر مد ∴ حاً فيــه ناء ولــم يــوفْ
ذكــرى الحبيب كتبته ∴ صــوت الوجــود إليك زف
فيحــا العبير أريجها ∴ من طيب عرفك أخت عرف
يا رحــمة للعــالميــ ∴ ــن بها لطيف الكــون حف
يا قبضة البدء الشر ∴ يف بنــورها عــم الشرف
صلى عليك مســلما ∴ ربى عــلى اليــا والألــف
والآل والصحب الكرا ∴ م وتابعــيهم والســــــلف

كما يمدح القطب الصوفى (أحمد ماضى أبو العزايم) فيقول [١] :

من خمر (ماضٍ) أرتشف ∴ من بحر (ماض) اغترف
فــيض لــه لــم يولــه ∴ إلا مريــدا شــا فشــف
ظمــآن عــب مــن الدنا ∴ ن براحــتيه هوى فعف
يا (ماضــيا) أســــراره ∴ منها الحقــائق تستشف
يا نســل أحمد يا حفيــ ∴ ــد من الزمان به شرف
جئنــاك نرمــق نظــرة ∴ من أهل جود أهل عطف
يحظــى بهــا بمعــــية ∴ فى الله قــد حفت بلطف
مســتغفريــن الله من ∴ خــير وشــر يقــترف
للمســلمين لــنا لمــــا ∴ كم عنه بعد الغيب شف

والشاعر فى هذا لم يبعد عن الذوق الإسلامى والتعاليم الإســلامية وحسبه أنه عبر عما يشعر به .

---

(١) - السابق .

وقال يرثى عمه [١] :

عاشـــها مخلصا حياة الفناء ∴ لا حســـودا ولا حقوداً مراء
عاش للســـلم والسلام حياة ∴ زانها بالرضا وصدق الوفاء
عاش ما عاش طيبا ورحيما ∴ واسع الصدر لم يضق بقضاء
عاش ما عاش بالأمور بصيراً ∴ ودواء لكـــل داء عـــــياء
عاش بالاطـــلاع جد شغوف ∴ وإذا ارتـــاب لاذ بالعلمـــــاء
وبـــه فى الجـــنان نسأل ربا ∴ أن يســـود الجميع خير لقاء

ثالثا : بهيجة محمد توفيق على :

وأيضا كان للعوامل الوراثية والبيئية دورها الفعال فـــى تكوينهـــا الشعرى والأدبى، فهى ابنة الشاعر الكبير (محمد توفيق على) رب السيف والقلم ورائد من رواد مدرسة الإحياء الشعرى التى رادها البارودى .

ولدت الشاعرة بهيجة توفيق فى بلدة زاوية المصلوب عام ١٩١٦م ونشأت فى كنف والدها الشاعر محمد توفيق ، حيث التربية الصالحة فـــى ظلال بيت اجتمع فيه التقوى والأدب .

بدت للشاعرة ميول أدبية من خلال تأثرها بما كانت تقـــرأه مـــن أشعار والدها ، ثم من خلال إطلاعها على أنماط من الشـــعر العربـــى ، بالإضافة إلى موهبتها الفطرية الموروثة ، لها ديوان زجـــل مخطـــوط ، توفيت عام ١٩٩٤م [٢] .

---

(١) – قالها لحظة تشييع جنازة عمه حتى وصل إلى القبر فالقاها مترجلا أمام القبـــر بعد الدفن .

(٢) – من حديثى السالف الذكر مع حفيد الشاعر محمد توفيق المشار إليه آنفا .

وسأكتفى بذكر نموذج يسير فى إشارة متواضعة لها يـــدل علـــى مقدرتها الزجلية ، حيث تقول فى الوصف [١] :

النرجـــس قـــال للياســـمين ∴ اللى روايحـــه بتسكر مين
والبلـــبل قـــال للعصـــافير ∴ غـــنوا معـــايا وإلا أطـــير

* * * * *

العـــناب فى الروض بيميل ∴ يا حســـنه أخضـــر وجميل
والمـــــية زى البنـــــور ∴ تمـــلا العين والقلب سرور
والخضـــرة سندس مفروش ∴ لكـــن بالأزهـــار منقـــوش
والنســـمة تحيى الأمـــوات ∴ دى بـــلادنا ســـحر وآيات
والأطـــيار ســـجع وتلحين ∴ بتســـــبح والناس نايمين
والأشجار (دوكة) وتصفير ∴ والدنيـــا جـــنة وحريـــــر
النرجـــس قـــال للياســـمين ∴ اللى روايحـــه بتسكر مين
والبلـــبل قـــال للعصـــافير ∴ غـــنوا معـــايا وإلا أطـــير

* * * * *

يا حسن النيل فى الصبحية ∴ يا جمـــال أمواجه الفضية
يا ضـــوء القمـــر اللمـــاع ∴ ده دهب ســـايح ولا شعاع
مفيش فى الدنيا زى بلادنا ∴ ولا مخلـــص أد ولادنـــــا
دايما دافعـــوا عن أوطانكم ∴ والمـــولى معـــاكم ينصركم
النرجـــس قـــال للياســـمين ∴ اللى روايحـــه بتسكر مين
والبلـــبل قـــال للعصافـــير ∴ غـــنوا معـــايا وإلا أطـــير

* * * * *

---

(١) – من مخطوطات الشاعرة بهيجة توفيق .

المبحث الرابع
أبناء الأخت

أولا : يوسف صديق :

ولد يوسف صديق فى الثالث من يناير عام ١٩١٠م بقرية زاوية المصلوب ، مركز الواسطى ، محافظة بنى سويف ، لأب مصرى يعمل ضابطا بالجيش المصرى ، هو اليوزباشى منصور يوسف حسن صديق الأزهرى ، أما والدته فهى (سكينة) كريمة الحاج أحمد على ، وخاله هو الشاعر " محمد توفيق " أحمد على، وقد ورث يوسف موهبته الشعرية عن هذا الخال، وتزوج من ابنته (عليه توفيق) وفى سنة ١٩٢٤م حصل على الشهادة الابتدائية ، ثم انتقل إلى مدرسة بنى سويف الثانوية ، حيث برز بين رفاقه كشاعر وخطيب ، وبعد أن أنهى يوسف صديق دراسته الثانوية التحق بالكلية الحربية عام ١٩٣٠م ، وأصبح شاعر الكلية الحربية منذ التحاقه بها، يدعوه أساتذته وزملاؤه لإلقاء قصيدة من شعره فى كل مناسبة

تخرج يوسف صديق من الكلية الحربية وعين ضابطا بالجيش عام ١٩٣٣م ومن هنا بدأ نضاله من أجل تحرير الوطن ، حيث استخدم شعره كسلاح مؤثر يهاجم به الفساد قبل ثورة ١٩٥٢م ، وكان يلقى شعره فى الحفلات والمناسبات غير مكترث بما قد يصيبه من نقمة السلطان عليه ، وخاصة قادة الجيش ، وقد تسبب له ذلك فى كثير من التشريد والاضطهاد قبل الثورة ، فكان دائم التنقل بين وحدات الجيش ما يكاد يستقر فى مكان حتى ينقل إلى مكان آخر ، وفى عام ١٩٥١م انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار تمهيدا للقيام بثورة يوليو ١٩٥٢م .

قام يوسف صديق بالدور الرئيسى فى تمكين الثورة من السيطرة على الجيش والقبض على قادته حيث انتزع للثورة النجاح فى أحرج

لحظاتها ، وبعد أن تم تشكيل مجلس قيادة الثورة ، أصبح يوسف صديق من أبرز أعضاء المجلس ، فطالب رفاقه أعضاء المجلس تنفيذ ما اتفقوا عليه من قبل وهو إقامة حياة ديمقراطية وعودة الجيش إلى ثكناته حاميا للثورة ومبادئها ، لكنهم لم يستجيبوا لدعوته ، وأصبحت شهوة الحكم أقوى لديهم من المبادئ ، واحتجاجا على ذلك قدم يوسف صديق استقالته من مجلس قيادة الثورة فى يناير عام ١٩٥٣م ، وفى نفس العام نفى يوسف صديق إلى سويسرا ثم إلى لبنان ، ولما عاد حددوا إقامته فى منزله بحلمية الزيتون ، وفى عام ١٩٥٤م اعتقل وأودع السجن الحربى ومن داخل السجن انطلقت روح الفارس شعرا فكتب أروع قصائده ، ثم ضاقت شقة الخلاف بينه وبين عبد الناصر ، بعد أن سلك عبد الناصر طريقا معاديا للاستعمار ، فانبرى يوسف صديق – رغم السجن وتحديد الإقامة – ينظم قصائد التأييد لعبد الناصر وموقفه الوطنى الشجاع .

وبرغم ما لاقاه الفارس من نفى واعتقال ونكران وجحود إلا أنه ظل أمينا على مبادئ الثورة ومدافعا صلبا عن حق الشعب فى الحرية والديمقراطية .

توفى يوسف صديق يوم ٣١ مارس عام ١٩٧٥م وشيعت جنازته عسكريا ورسميا وشعبيا ، وقد لف جثمانه بعلم مصر ، وحمل على عربة مدفع ، وأحاط به رفاقه من الضباط الأحرار والباقون من أعضاء مجلس قيادة الثورة وتلاميذه من الضباط وجموع غفيرة من القوى السياسية والقيادات الفكرية والثقافية ، والمخلصين للمبادئ والقيم الرفيعة التى عاش لها ومات من أجلها يوسف صديق [١] .

---

(١) – يراجع : مقدمة ديوان (ضعوا الأقلام) للشاعر يوسف صديق، مطبعة الشعب ، القاهرة ١٩٩٩م، وبكباشى يوسف صديق منقذ ثورة يوليو، بقلم/ محمد توفيق=

نمـــاذج من أشـــعاره

سمع يوسف صديق الشعر من خاله محمد توفيق على ، منذ صباه الباكر ، فلم يكن غريبا أن تتفتح ملكات الشعر عنده منذ نعومة أظفـــاره ، فهو من هذه الناحية شاعر من عائلة بها عديد من الشعراء .

ويمتاز شعره بالعاطفة الجياشة ، كما يمتاز بالقوة والجزالة وهـــو يعبر عن مواقفه الوطنية والثورية والإنسانية أصدق تعبير ، ومـــن ذلـــك قصيدته التى ألقاها عام ١٩٤٦م بنادى الجيش بمناسبة حفل تكريم رجـــل حر من رجال الجيش غضبت عليه القيادة فأحالته إلى الاستيداع ، فأقام له زملاؤه حفل تكريم إظهارا لغضبهم وسخطهم على قـــرار إحالتـــه إلـــى المعاش ، وألقى يوسف صديق قصيدته فى هذا الحفل والتى منها [١] :

ما للوجـــوم علا الوجوه وشاعا ∴ وتطـــيرت تلك القلـــوب شعاعا

حـــتى كأن القـــوم أول مـــرة ∴ شهدوا جهاد المخلصين مضاعا

إن اخـــتلاف الرأى فيما بيننا ∴ قـــد ضيع الحق المبين فضاعا

من لى بمن يرضى النفـــوس جميعها ∴ ويصحح الأحـــداث والأوضاعا

هـــون عليك أخى فإن جهادنا ∴ فى الله لا نرجـــو الحياة متاعا

إنا وهـــبنا للجهـــاد نفوســـنا ∴ لا نبتـــغى رتبـــا ولا أطمـــاعا

والمؤمـــنون المخلصون يزيدهم ∴ ظلـــم الحوادث شـــدة وصراعا

عار الوظيفة أن نضام بها إذا ∴ كـــنا الرجال ولم نكـــن أتبـــاعا

ونفوس أهل الحق تأبى حرة ∴ وكريمـــة أن تشـــترى وتبـــاعا

= الأزهرى ، طبع ونشر مكتبة مدبولى ، ط الأولى ٢٠٠٠م ، وأوراق يوسف صديق، د / عبد العظيم رمضان، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م .

(١) – ديوان : ضعوا الأقلام للشاعر يوسف صديق ، ص ٢٧ ، مطبعـــة الشـــعب ، القاهرة ١٩٩٩م .

وفى قصيدة (ضعوا الأقلام) نجد الشاعر يوسف صـــديق ينـــوه بالجيش المصرى وأهميته فيقول [١] :

ضعوا الأقلام وامتشقوا الحساما ∴ فرب السيف قد حمل الوساما

وقولوا للذى يرجـــو خلاصا ∴ بتنمـــيق الكـــلام كفى كلاما

هى الدنيا صـــراع لا اقـــتناع ∴ بغير الجيش لن نحيا كراما

ومن نادى بغير الجيش يهذى ∴ وعن نور الحقيقة قد تعامى

وأما قصيدته التى بعنوان (من الجنة) فقد كتبها وهو فى منفـــاه فى سويسرا وهى تعد من قمة شعره الوطنى ، حيث سجل فيها دوره فـــى قيام الثورة حتى لا يضيع مع الأيام فنراه يبدأ قصيدته هذه بالنسيب ، كما تبدأ القصيدة العربية قديما فيقول [٢] :

حسناء "لوزان" ترعانى على الجبل ∴ جاءت تداوى فكانت علة العلل

فى ثغرها من رحيق السحر بارقة ∴ تكـــاد تقتلنى شـــوقا إلى القبل

قد حرمته علينا وهى تعرضه ∴ عرضا يثير فضول الطهر والخجل

ثم يتحدث عن مصر وجمالها ويبث حنينه وأشواقه قائلا :

أنا من بلاد رواها النيل فى كرم ∴ وفى وفاء كســـاها أجمل الحلل

فيها الجمال وفيها السحر من قدم ∴ كم أوقعت فى شـــراك الحب من بطل

ثم يذكر حركة الضباط الذين انضم إليهم ، وثورتهم على الظلـــم والفساد مشيرا إلى صراعه معهم فيقول :

فقام فى صحبة والليل يســـترهم ∴ والحق يرشدهم فى عزمة الرسل

وكنت فى يده كالسهم أطلقنى ∴ أدك صرحـــهم فيهـــا فلـــم أطل

الحق فى جانبى والظالمون هم ∴ والله ينصر أهل الحق فى الجلل

ورحت أجمع شمل الناس فى حذر ∴ وفى وفـــاء أدعوهم إلى العمل

---

(١) – السابق ، ص ٨١ .

(٢) – السابق ، ص ٤٠ .

فقـــال قـــوم كفانا الله شرهم ∴ هذا مريب وقد يدعو إلى خطل
فأرسلـــوه بعـــيدا لا يهـــددنا ∴ وشـــتتوا صحبه فى كل معتقل
فأبعـــدونى إليكم ألف مغفـــرة ∴ لأهل مصر وإن هم شوهوا عملى

ثم يختم القصيدة ببيتين فى الفخر يسجل فيهما دوره للتاريخ ، وأن ما قام بـــه ليلة الثورة هو الدور الرئيس بها ، ولولاه لما نجحـــت تلـــك الثورة ، فيقول :

أنا الوفى الذى لم يثنه دمـــه ∴ ينساب من صدره عن يومك الحفل
لم يكفنى شرفا أن كنت شـــاهده ∴ بل كنت فيه فتى فتيانه الأول

كما يعد الرثاء فنا من فنون الشعر لدى الشاعر يوســـف صـــديق يعبر به عن مكنون نفسه تجاه المرثى ، ومن ذلك قصيدته فى رثاء جمال عبد الناصر ، وفيها يقول [١] :

أبا الثوار هل ســـامحت دمعى ∴ يفيض وصـــوت نعيك ملء سمعى
وكـــنا قـــد تعاهـــدنا قديمـــا ∴ على ترك الدمـــوع لـــذات روع
وإن الخطب يحســـم بالتصدى ∴ لهول الخطب فى ســـيف ودرع
ولكـــن زلـــزل الأركـــان منى ∴ وهز تماســـكى من جـــاء ينعى
نعاك وأنت ملء الأرض سعياً ∴ وذكـــرك قائمـــا فى كـــل ربـــع
بكتك عـــيون أهل الأرض حولى ∴ فكيف أصون بين الناس دمعى
رسمت لنا الطريق وسوف نمضى ∴ على هـــذه الطريق بغـــير رجع
ســـنمضى فى طريق الحق حتى ∴ نطهـــر من ثـــرانا كـــل صـــقع
جـــزاك الله عـــنا كـــل خـــير ∴ ورواك الرضـــا من كـــل نبـــع

---

(١) – السابق ، ص ٦٩ .

ثانيا : محمد سعيد الأزهرى :

ولد الشاعر محمد سعيد الأزهرى فى قريته زاوية المصلوب فى الحادى عشر من شهر فبراير ١٩١١م .

والده هو حسن محمد حسن الأزهرى الموظف بالمحاكم الشرعية بالقاهرة ، ووالدته هى منيرة كريمة الحاج أحمد على ، الشقيقة الصغرى للشاعر محمد توفيق على .

حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٥م ، كما حصل على البكالوريا قسم علمى عام ١٩٣٠م بتفوق والتحق بكلية الطب جامعة فؤاد الأول ، لكنه رسب فى مادة النبات فتحطم أمله فى الالتحاق بهذه الكلية وانتقل إلى كلية الصيدلة وهو غير راض وسخط على مهنته ودراسته ، وظهر ذلك فى كثير من شعره .

كان لخاله الشاعر محمد توفيق الأثر الكبير فى تكوينه الفكرى والنفسى ، حيث أعجب به أشد الإعجاب لورعه وزهده وتقواه حتى أنه تزوج من ابنته " سعاد " كما تأثر الشاعر محمد سعيد الأزهرى بعد تخرجه بشخصية أستاذه الدكتور / محمد رجب فهمى ، أستاذ علم العقاقير فى كلية الصيدلة ، حيث دفعه إلى عشق البحث العلمى والتعمق فيه بعد أن كان كارها له وساخطا عليه .

ثم ما لبث الشاعر محمد سعيد الأزهرى أن اتصل بشخصيات أخرى لعبت دورا فى حياته وكان له أكبر الأثر فى تكوينه الفكرى ، منها : الشاعر الطبيب إبراهيم ناجى ، حيث جمعت بينهما صداقة طويلة حتى وفاة ناجى ١٩٥٣م ورثاه الشاعر محمد سعيد الأزهرى بقصيدة ، كما التقى بالشاعر الغنائى مرسى جميل عزيز ، وكان صديقا له أيضا محبا له ولأشعاره .

حصل الشاعر محمد سعيد الأزهرى على رسالة الماجستير فى الكيمياء عام ١٩٤٥م وله أبحاث علمية منشورة فى كثير من المجلات العلمية ، كما حصل على دبلوم فى التحاليل الطبية عام ١٩٤٦م ، ومن مؤلفاته العلمية : التداوى بالنباتات ومحرضات الشهوة لدى الرجال والنساء ، بجانب ديوان شعر مخطوط بعنوان (نسمات وأعاصير) توفى فى السادس عشر من شهر أغسطس عام ١٩٦٩م [١] .

نماذج من أشعاره

تنوعت أغراض الشعر لدى الشاعر محمد سعيد الأزهرى فشملت شعر التأمل والمراثى والغزل والمديح ، وشعر الشكوى والتبرم والتشاؤم ، كما نلمس فى أشعاره تمجيده للعلم والعلماء ، ثم ما لبث أن اتجه بفنه إلى الزجل فأبدع فيه بأزجاله الوطنية والاجتماعية ، كما اتجه فيه إلى الأوبريت وأدب الأطفال والقصة القصيرة وكتابة مذكراته الشخصية .

فإذا ما أوردنا بعض النماذج التى تؤكد صحة ما ذهبنا إليه من القول من شعره ، نجد من شعره الدينى مثلا قوله [٢] :

طيف النبى لعينى اليوم قد لاحا ∴ فبدل الحزن والآلام أفراحا
وقد رأيت رياض الخلد ماثلة ∴ تختال بالورد والنسرين فواحا
من كل باسقة تجثو بأفرعها ∴ للخالق الحق إمساءً وإصباحا
ما أجمل العيش ما أحلى الحياة ∴ إذا زرنا الحجاز وجبنا فيه سواحا
يا طيب مكة قد حركت من شجنى ∴ ما كنت منه طول العمر مرتاحا
أذكرتنى العرب والإسلام فى زمن ∴ ذكراه تملأ نفس الحر أفراحا
فى أرض مكة يمحو الذنب مثبته ∴ فسر إليها إذا ما رمت إصلاحا

---

(١) – من حديثى سالف الذكر مع حفيد الشاعر محمد توفيق .

(٢) – من مخطوطات الشاعر محمد سعيد الأزهرى .

قل للحجيج وقد عادت جموعهم ∴ أهلا بأصفى عباد الله أرواحا
قد نلتم التوبة الكبرى ولا عجبا ∴ من يتق الله يجنى العفو أرباحا
ومن رعى الله فى قول وفى عمل ∴ أعطاه مولاه للجنات مفتاحا

أما مقطوعته (الله كريم) فنرى فيها من صفاء النفس الكثير فضلا عن جمال الصياغة وعمق المعنى حيث يقول [١] :

قل للفقير أخفت مسبغة ∴ وإلهك الرزاق منتبه
لا والذى تعنو الوجوه له ∴ هذا حديث كله بله
قل للأولى ضلوا وما عدلوا ∴ وغنوا متى بالله تنتبهوا؟
الخير باق فى أماكنه ∴ والقوت لم يمنعه مرسله
فثقوا بخالقكم ولا تهنوا ∴ ودعو القلوب إليه تتجه

وكان مما قاله فى شأن العلم قصيدته (عاشق العلم) [٢] :

كل بإرث جدوده يتنعم ∴ ويفر من كيد الزمان ويسلم
أنفقت جدى ثروتى وتركتنى ∴ أبكى وغيرى بالمنى يتبسم
لو أن لى مالا لفزت بمأربى ∴ وبلغت ما أرجو وما أتعشم
أنا عاشق للعلم مشغوف به ∴ لا ينتهى أملى ولا يتهدم
أنا معجب بدفاترى ومحابرى ∴ وبكل أسفارى فؤادى مغرم
هل غير سفرى مؤنس فى عزلتى ∴ إن حل صدرى ما به أتألم
أدعوه لا يأبى وأنهل علمه ∴ لا أقضه أجرا ولا هو يسأم
نعم الصديق إذا صحوت أفادنى ∴ وإذا غفلت سها صديقى الأبكم

ونحن نرى الشاعر محمد سعيد الأزهرى فى أبياته السابقة يشير إلى أزمته النفسية مع العلم والمال ، فلا يخفى ما وصفه لكتبه وأسفاره ،

---

(١) - السابق .
(٢) - السابق .

ولا يخفى كذلك شغفه بتحصيل العلم ، لكن الأيام أتت بما يكره ، وإذا بالعلم الذى لاذ به لا يحقق له مطلبا ، بل إنه يزيد روحه شقاء فوق شقاء ، فنراه يقول فى قصيدته (أنا والعلم) [١] وقد ضاق ذرعا :

لعن العلم لعن ، ليس للعلم ثمن
كنت فى عيشى شغوفا بالكتاب
كان أحلى من طعامى والشراب
بين أسفارى هوى من الشباب
لم أفق حتى نأى عنى وغاب
لعن العلم لعن ، إنه أصل المحن

* * * * *

ضل من ينفق فى العلم السنينا
جن من يحيا بلا ذنب سجينا
ما الذى نجنيه منه إن حيينا
غير بؤس يبعث الذلة فينا
لعن العلم لعن،ليت علمى لم يكن

وفى مقطوعته (الشاعر) تراه يصف حبه للشعر وما به من شجن وأن هذا الشعر لنفسه لا للناس فيقول فى عبارات بسيطة صادقة [٢] :

أيرجون منى أن أقول فكاهة ∴ وقلبى مكلوم من الهم موجع
دعونى وأشعارى فإنى نظمتها ∴ لنفسى لا للناس يا قوم فاسمعوا
فتلك شجونى قد نظمت عقودها ∴ وقلبى لها يرنو وعيناى تدمع
هبوا أن لى طفلا مريضا رزقته ∴ أأحبوه عطفى أم له الموت أدفع
وما الشعر إلا قطعة من مشاعرى ∴ أنازل عنها كل شر وأمنع

---

(١) – السابق .
(٢) – السابق .

المبحث الخامس

الأسباط

أولا : محمد توفيق سعيد الأزهرى :

هو حفيد الشاعر محمد توفيق على لوالدته ، وابن الشاعر الدكتور محمد سعيد الأزهرى ، ولد عام ١٩٣٧م ، تخرج من كلية التجارة عام ١٩٥٩م من جامعة القاهرة ، عمل مراجعا للحسابات وخبيرا فى الاستيراد وباحثا اقتصاديا بإحدى الشركات الكبرى فى مصر ، كما عمل مديرا ماليا لفرع الشركة فى شرق وغرب إفريقيا ١٩٦٣م – ١٩٦٨م ، ثم سافر إلى العمل بالخليج فى الفترة ١٩٧٥م – ١٩٩٤م ، له إبداعات متنوعة فى الأدب والشعر ، وله مرجع عن التجارة الخارجية مع دول إفريقيا جنوب الصحراء على مدى ربع قرن ، كما أن له ديواناً فى الشعر ، وآخر فى الزجل ، وديواناً للأطفال ، ومؤلفات فى القصة وأدب الرحلات ، ودراسات فى النقد الأدبى [١] .

و (توفيق الأزهرى) شاعر بالفطرة غلبته موهبته الأدبية وسيطرت عليه روح الشاعر وأجبرته على أن يهجر طريق الاقتصاد الذى كان وظيفته وحرفته التى برع فيها ، ولكن ماذا ننتظر من شبل تربى فى عرين الأسود ، أحب الشعر وحاصره من كل الزوايا، فالجد شاعر، والأب والخال والعم كلهم شعراء والأخت والخالة شاعرات ، أسرة أغلبها من الشعراء ... ومما يدل على موهبته الفطرية الموروثة ما نقرأه فى أول مقطوعة يقدمها وهو فى السابعة عشرة من عمره وهى (الذكرى)[٢] يقول:

---

(١) – مقدمة أغاريد النعام ، قصص زجلية للشاعر محمد توفيق الأزهرى ، ص ١ – ٣ ، ط مؤسسة طابا للنشر ٢٠٠١م .

(٢) – من مخطوطات الشاعر محمد توفيق الأزهرى .

كــل مــا أذكــر أنــى ∴ كان لى ماض جمــيل
كــان لى قلــب يغنى ∴ كان لى خــل أصــيل
بعدها قد عشت وحدى ∴ بين إطراقى وســهدى
بين أحــزانى ووجدى ∴ ظالما قــد قال عــنى
ظالمــا قــد قال وهما ∴ فرماه الدهــر ســهما
ورمانى الدهــر سهما ∴ فأضــاع الحــب منى
عشت وحدى لا أبالى ∴ عشت فى وحى الخيال
أنا لا أبكــى عليــــك ∴ إنمــا أبكــى لحــالى

والمتأمل لتلك القصيدة التى قالها وهو صغير السن يرى بســاطة الكلمات التى تتناسب مع هذه المرحلة العمرية ، فهو لا تثيره امرأة وهــو فى سن المراهقة كان يراها من نافذة حجرته تنظر إلى نفسها فى المرآة ، متأملة جمالها فى غرور وخيلاء، ونافذة حجرتها مفتوحة على مصراعيها، وكأنها تتعمد أن تصنع ذلك عندما تلمحه مطلا من نافذته ، فنراه يقول فى مقطوعته (غرور الحسناء) [١] منددا بهذا الغرور :

قــل لهــذه الحســناء ∴ وهى تخــتال مهــلا
لســت بالقمر السارى ∴ إن ظهــرت أهــــل
ولســت بالشمس كلما ∴ رآهــا الظــلام ولى
ألا تنظــرين حســــن ∴ الزهــرة إن تجــلى
لســت شــيئا كــــم ∴ جمال ذوى واضمحلا

والفتى الذى ينكر على هذه الحسناء غرورها ، ويرفض الانجراف إلى مغامرات المراهقين ، نراه يفصح عن محور من محــاور شخصــيته

---

(١) - السابق .

التى لا تكف عن السفر والطموح ، فهو يهيم مع الطير وينتقل من مكـــان إلى مكان ، نلمس هذا فى قوله [١] :

أهيم مع الطير فوق الشجر ∴ يغنى وأسمع طول الأجل

وتأبى الأيام إلا أن تهاجمه ، وتشرع سيفها فى وجهه ، فيمـــوت الأب البلبل الصداح الذى أثرى حياة (توفيق) فيرثيه بعدة قصائد ، وفى مرثية من مراثيه لوالده نراه يقول [٢] :

العين تشكو والدموع هوامر ∴ والجفن مضنى حائـــر الأهداب
والقلب فى كـــبد يئن توجـــعا ∴ من حرقـــة ملكت على صوابى
ما لى وبى ألـــم يقد حشاشتى ∴ وأنا ضـــعيف مقـــبل لإيـــــاب
ماذا وبى حزن يفوق تصورى ∴ لهفى عليك وحســـرتى وعذابى
وأقـــول يا رب العباد فجعتنى ∴ فى رحلـــة الأوجاع والأوصاب
يا والدا حمـــل الرســـالة كلها ∴ بالقلب والإحســـاس والأعصاب

وفى عام ١٩٩٢م يفقـــد الشـــاعر أخاه الأصغر ، فيرثيه بقصيدة (الأخ الشقيق) وهى قصيدة تنم عن حب صادق وألـــم دفـــين ، فيقـــول مخاطبا شقيقه الراحل :

يا راحـــلا قبلى إلى أحـــبابى ∴ أو ما لبثت فقـــد يحين ذهـــابى
فتكون فى يوم الرحيل مودعا ∴ تمشـــى حزينـــا باكـــيا بركابى
وتـــزور قبرى بالورود مرددا ∴ اقبلـــه يا رب بيـــوم حســـــاب
وأشفع له يا (مصطفى) يوم ∴ اللقا جنبه يا رحمن هول عقاب
أنت الصغير فكيف تمضى مسرعا ∴ وأنا الكبير فمـــا أشـــق مصابى
إنى احتســـبتك عند رب قادر ∴ فى جـــنة مخـــضلة الأعـــناب

---

(١) – السابق .
(٢) – السابق .

على أننا فى ديوانـــه نجد العديد من القصائد فى مختلـــف فنـــون الشعر ، لكننا معنيون بعرض أنماذج تشير إلى شاعريته فمن ذلك قولـــه عن مصر :

ذات البهـــاء ودرة الأوطـــان ∴ مصر العزيزة آية الرحمن

الله شـــرف قدرهـــا بكتابـــه ∴ وبمحكم التنزيل فى القرآن

وطن السلامة من أديم ساحق ∴ أرض الكنانة ملتقى الأديان

الله حارســـها وحافظ شعبها ∴ من كل شـــرير وكل جبان

وها هو ذا يبتعد عن مصر ويقف على شاطئ المحيط الأطلســـى وهو فى الغربة بمدينة (لاجوس أكبر المدن النيجيرية) يجتر الـــذكريات وحيدا ، ويقول فى قصيدة بعنوان (سحابات صيف) :

تركت ورائى سحابات صيف ∴ وأوهام ماض بعـــيد وطـــيف

وجئت إلى البحر أخطو وحيدا ∴ لألقى بكـــل ظـــنونى وخوف

* * * * *

وجدتك يا بحـــر أوفى رفـــيق ∴ كتـــوم لأنك ســـر عمـــــيق

فجـــدد عهـــود الصديق إلىّ ∴ تجدنى على الدوام أوفى رفيق

* * * * *

وهنا تتضح أحاسيس الشاعر ، وتأتى إليه حكمة الأيام فيقول :

وقفت أناجى جمـــال الغروب ∴ فمالت الشـــمس نحو المغيب

وعانقها البحـــر فى كبريـــاء ∴ وتمضى إلى صفحات الغيوب

* * * * *

ثم يتجه إلى البحر يجسده ويخاطبه ويحاوره كأروع مـــا يكـــون الحوار ، فيقول :

ســـألتك هل يعرفون الوفاء ∴ وهل يقصدون لشط الرجاء

وهل يدركون المعانى جميعا ∴ وخلتك قلت الوفاء هـــباء

ويصل الشاعر إلى حقيقة تدل على تجربته وفهمه فيقول :

فإن اللـــيالى على طبعها ∴ تحير فى الفكـــر فى أمرها
فتسعد من يبتغيه الشقاء ∴ وتشقى الذى تاه فى بحرها

وكعادة الإنسان عندما يكبر فى السن يبدأ فى اجتـــرار الماضـــى وذكر ما ألم به ويحلو له أن يردده مع أبنائه وأحفاده ناصـــحا وموصـــيا فيقول :

ومضت أيامى لا أدرى أو أعرف كيف؟
كالحلـــم أراها قد رحلت كسحابة صيف
كســـراب لاح على بعـــد وسط الأوهام
أنشـــودة حب قد ذهبت كغلالـــة طيف

* * * * *

فإذا بالعام يفاجـــئنى عـــام الســـــتين
أبيـــض الشـــعر وقد قلت أنوار العين
والقلب تحمـــل فى صبر أعباء شجون
ورضيت بقـــدرى ونصيبى كيف يكون
ولعلك تـــدرك يا ولـــدى حجم الحرمان
ولعلك تعـــرف يا ولدى فضل الأوطان
ولعلك تبغـــض يا ولـــدى قهر الإنسان
فانعـــم بالحب واحفظـــه لتعـــش بأمان

ثانيا : أمانى سعيد الأزهرى :

هى أول سيدة فى الأسرة تكتب الشعر العربى الأصيل ، والـــدها هو الشاعر الدكتور محمد سعيد الأزهرى ، ووالدتها ابنة الشاعر محمـــد توفيق على .

تخرجت فى كلية الآداب جامعة عين شمس قسم اللغة العربية عام ١٩٦٦م وتزوجت من زميلها محمد محجوب عايش ، الذى أمضت معه سنوات طويلة فى الغربة فى جنوب اليمن ثم فى قطر .

بدأت فى كتابة الشعر فى المرحلة الجامعية ، وأسهمت فى تأليف الأناشيد المدرسية المقررة بوزارة التربية والتعليم بدولة قطر ، ونشرت لها قصائد عديدة فى الصحف والمجلات بالدوحة ، ولها نتاج متنوع فى الشعر العمودى وشعر التفعيلة والشعر الغنائى .

ماتت ابنتها وهى طفلة فى السادسة من عمرها فى حادث أليم ، وقد كان لذلك تأثيره البالغ على الشاعرة ، فصبغ شعرها فى المراثى بمشاعر حزينة ، ولما ماتت والدتها جددت أحزانها ، ورثت ابنتها ووالدتها بأكثر من قصيدة مطولة تفيض بمشاعر شديدة الحزن ، وقد احتلت المراثى والبكائيات جانبا كبيرا من أشعارها فأظهرت من نواحى الحزن قدرا كبيرا بعزفها على أوتار الشجن ، ومن أبرز قصائدها رثاؤها لوالدتها فى قصيدة (صدر أمى) والتى تعبر فيها عن افتقادها لذلك الصدر الحنون فى الغربة وما تشعر به من تمزق فى مشاعرها ، وهى فى مناجاتها لتلك الأم تطلب إليها أن تعيد إلى نفسها السكينة بعد أن روعتها الأيام فتقول [١] :

صدر أمى غفوتى إن تاه منى
لاهث الصبر وشاح الناس عنى
لم أجد أرحب منه حانياً يمسح حزنى
فوق هذا الصبر أغفو أحضن الدنيا أغنى
رممى أشلاء نفسى وارتقى جلدى وعظمى

---

(١) – من مخطوطات الشاعرة أمانى الأزهرى .

تضفى النـــور بقلبى وتذيب شـــغاف نفسى
خففى لوعة صدرى وأبعدى الأحزان عنى
هدهدينى مثلمـــا كـــنت يا أمى بمهـــــدى
واقرئـــى القـــرآن حتى يسكن الحلم بجفنى

والشاعرة لها قصائد كثيرة فى الوطنيات وكلها تفـــيض بمشـــاعر صادقة من الحب الجارف للوطن ، وفى قصيدتها (لقاء الوطن) تبدو لنا مشاعرها تجاه الوطن من واقع غربتها الطويلة ، فهى تتغزل فى وطنهـــا وتذكر جماله وروعة لقاء الأهل وكيف أنها تشعر بالمرارة كلما فارقـــت هذا الوطن فتقول :

لقـــاء بعـــده ألـــم إذا ∴ فارقـــت أوطـــانـــى
أحـــب النيل أعشـــقه ∴ وللأهـــرام تحـــنانى
ســـماء شـــمسها تبر ∴ ونيـــل رائـــع حـــان
وجوه الناس أعشقها ∴ هوى الأحباب أنسانى
جـــراح أثخـــنت قلبى ∴ وحـــب الأهل ألهانى
فكـــم أهواك يا وطنى ∴ وفى لقـــياك ألحـــانى
وأنت العمر يا وطنى ∴ بعـــيدا كنت أو دانى
أجل لحمـــاك عاشقة ∴ وهـــذا الشوق أدمانى
فداك حشاشتى عمرى ∴ فـــداك الـــروح أمانى
يعـــود لمهجتى فرح ∴ إذا قابلـــت أوطـــانى

كما تناولت الشاعرة أمانى الأزهرى فن الوصف فـــى شـــعرها ، وأجادت فيه بشكل عام ، ففى قصيدتها (سحابات صيف) تتحدث لتصف

مشاعرها ، وتلقى الضوء على مشاعر الحيرة والخوف وشدة المعاناة من قسوة الدهر فتقول :

كأن حـياتى سـحابات صيف ∴ ومر الشـباب كأسـرع طـيف
وضاعـت ليالى الصبا فى كفاح ∴ ولم يبـق غير رعـود وقصف
وليل طـويل يلـف وجودى ∴ ولاح الشـروق كوهـم وطيف
فمـاذا بقى من طريقى وصبرى ∴ سـوى دمعة فى العيون ونزف
ومـر تراكـم فوق لسـانى ∴ ورعـب من العاديات وخـوف
ووطنت نفسى أدارى الجراح ∴ تعاليت فوق جـوى كل ضعف
وعشـت وحيدة أحمل حلمى ∴ فيسـقط حلمى بواد مسـف
وأركض خلف سراب وأسعى ∴ فألقى من الوهم والزيف حتفى
يعاندنى الدهـر يقسو ويقسو ∴ تعبت من الغـدر من كل صنف
وأشـكر ربى على ما هدانى ∴ لعـلك ربـاه ترحـم ضـعفى

وأيضا هناك الكثير من قصائدها فى التأمل وتمتاز هذه القصائـد – فى غالبيتها – بفكر فلسفى من وراء المعانى والكلمات ، ففى قصـيدتها (حديث الروح) تذكر لنا نوع الحديث الذى تحب أن تسـمعه ، وتعيـب على الناس استخدام الكلام فيما لا يفيد ، وتفضل الصـمت علـى الكـلام المعسول فتقول :

كم كنت أرجو أن يكون حديثنا ∴ كالنور يسـرى كى ينير حياتى
يزدان بالإخلاص يفصح معلنا ∴ كالماء يكشف موطن الصدفات
إن الحديث وما أروم سماعه ∴ صـمت ولكـن صادق النبرات
إنى أريـد الصدق فى أقوالنا ∴ قـول الكـذوب جماجم ورفات
الصمت أبلغ من حديث زائف ∴ فاصمت إذا أخفقت فى الكلمات

ليكــن حديثك للمبادئ داعيا ∴ ومجــددا للخــير فى جــنباتى

وأما الشعر الدينى لديها فيغلب عليه مسحة من التصوف والمناجاة لربها كلما أقبل الليل وعصفت بقلبها مشاعر الثكل فتلجأ إلى ربها وتسأله أن يخفف عنها ، فتقول فى مقطوعة (أسماؤه الحسنى) :

أسماؤه الحسنى ضياء ∴ كل ما فيها جميل مشــرق
هى للنفــوس نضــارة ∴ ولكـــل روح رونـــــق
ترديــدها أمــل النجاة ∴ إذا دعـــا بهـــــا صادق
فادعــوا بها رب العباد ∴ ليرحـــــمن ويشـــــفق
فدعاؤكــم يصل السماء ∴ ووجهــكم بــه يشـــرق
وينجين الله ذاكــر ربه ∴ إن حاق شر أو أتته مآزق

ثالثا : أحمد كمال الدين عمار :

أحد أسباط الشاعر محمد توفيق على وابن الشاعرة بهيجة محمــد توفيق ، ولد عام ١٩٤١م ونال ليسانس الحقوق من جامعة القــاهرة عــام ١٩٦٧م .

قام بجمع ديوان والدته (المبهجات) تمهيدا لنشره ، كما أن والده الشيخ كمال الدين عمار كان أول من نشر قصيدتى (محمد توفيق على) (الميمية والهمزية النبوية) عقب وفاة الشاعر مباشــرة ، وعلــى نفقتــه الخاصة تخليدا لذكراه [١] .

والشاعر أحمد كمال الدين عمار له إبداعاته فى الشعر والزجــل وهى ليست بالكثير ، وسألقى الضوء فى عجالة على مفاتيح شخصيته من خلال استعراض بعض النماذج من شــعره ، وقــد كــان مــن أســمى

---

(١) – من حديثى السالف الذكر مع حفيد الشاعر محمد توفيق على .

موضوعاته الوطنية قدرا ومكانة : الحث على الجهاد ومناهضة الاحتلال ، ومن قصائده فى هذا النوع قصيدته التى بعنوان (صرخة الحق) يقــول فيها [١] :

صرخــة الحق تجلت ∴ يوم أن صــرخ الشهيد
ســائــلا رب العــباد ∴ نصــرة الشعب المجيد
شــعبنا شعب العروبة ∴ الــذى ذاق الوعـــيد
أعدم (الصهيون) خيرا ∴ تنصــر الحق الأكــيد
لطــخ الحــق بعــار ∴ جاعــلا مــنا العــبيد
أيهــا الثائــر صــبرا ∴ إنك شــبل الأســـود
يومــك آت قـــريب ∴ فــيه مجــد وخلــود
فــيه ثــأر لأخـــيك ∴ الذى ترك الوجـــود
لن ندعــهم يمرحون ∴ فى ديارنا من جــديد
بل ســنقتل كل يــوم ∴ ألف منــهم أو يزيــد
حــتى ترجــع للديار ∴ رافــع الرأس ســعيد

وهكذا ترى الشاعر أحمد كمال الدين عمار ينظر إلى أهل وطنــه وينفث فيهم روح الجهاد والنضال كى لا يعودوا إلى حياة لا تهون .

ولأنه شاعر محب لوطنه نراه يكتب بالعامية المصرية لما فيها من يسر وسهولة فى اللفظ وعمق فى المعنى ، فلم تكن العامية عنده مســفة ، بل كانت تحمل أفكارا ومعانى لا تخفى على اللبيب ، فمن ذلك مقطوعتــه التى تحمل عنوان (بنت الجيران) يقول فيها :

صــباح الفل والياســمين ∴ يا أجمل زهرة فى البساتين
صباح أجمل من الرياحين ∴ على خــدودك يا ضى العين

---

(١) – من مخطوطات الشاعر أحمد كمال عمار .

جمـــال البســـمة والخفة ∴ على جبينك علامـــة الزين
دعـــيت المولى ســـبحانه ∴ يخلـــينا نعيـــش حـــبيبين
يحـــلى الدنـــيا ف عـــنينا ∴ ويســـــــعد كـــل ليـــالـــينا
ومـــوج البحـــر يجمعـــنا ∴ وع الشطـــين يمـــيل بينـــا
وكـــروان الهـــوى يغنى ∴ وصوتـــه الحـــلو يشـــجينا
ولا عـــذول يفـــــرقـــــنا ∴ ولا يشـــمت حســـــود فينا
ورب القـــدرة ســـــبحانه ∴ يـــرعـــانـــا ويحمـــــــينا

رابعا : حسن كمال الأزهرى :

هو حفيد الشاعر " محمد توفيق على " لوالدته ، وابن أخ الشـــاعر **الدكتور محمد سعيد الأزهرى ، ولد عام ١٩٤٨م ، وتخرج من كليـــة الفنـــون التطبيقية وله أعمال فى الرسم والفن التشكيلى ، سمع الشعر من عمه ســـعيد الأزهرى وأعجب به ، وتأثر بأزجاله ، فانطلقت روحه شـــعرا هزليـــا ، لـــذلك اشتهر هذا الشاعر بأزجاله الساخرة ، ولما كان موضوع البحث هو : الإبـــداع الشعرى ، فسوف اكتفى بذكر نموذج من أزجاله للتدليل علـــى قيمـــة الإبـــداع وإرثه لدى الشاعر حسن الأزهرى ، ومن ذلك قوله تحت عنوان (الأبطال) :**

عمى سعيد كان راجل عالم ∴ شـــاعر يكتب معنى رقيق
بعـــد رحيله لعالـــم آخـــر ∴ ربنـــا عوضـــنا بتوفـــيق
كاتـــب واعى دارس فـــنه ∴ كان له موقف وقت الضيق
بص وشـــوف إزاى متعنا ∴ لما كـــتب يوســـف صديق
تحلـــيل واضح فكر ومعنى ∴ يعنى حـــقيقة بدون تلفيق
ضحى بروحه بكل جسارة ∴ ياما اتحمـــل فوق ما يطيق
علشـــان حبه لمصر بلاده ∴ سجنوا يوسف مع توفيق[١]

---

(١) – من مخطوطات الشاعر حسن كمال الأزهرى .

المبحث السادس

عناصر الإبداع الفنى فى شعر الأسرة

كان وما زال الناس – ولا سيما النقاد والشعراء منهم – يبـــذلون الجهود المضنية دراسة وبحثا وتقصيا لكشف كنه السر الكامن وراء سحر الإبداع الجمالى فى شعر بعض الشعراء ، وخاصة ممن شهر منهم ، وما كان غريبا أن يختلف الباحثون فى دراساتهم ووجهات نظرهم رغم اتفاقهم على الكثير من الأمور ، وقد اختلف بعضهم لا فى تفسير كلمة وردت فى أحد أبيات قصيدة شاعر ما ، بل واختلفوا فى تقويم هذا البيـــت بالمقيـــاس الجمالى ، ففريق يحسب هذا البيت آية فى الإبداع غير المسبوق فى حين عده آخرون من سقط المتاع .

وما دام شعر هذه الأسرة هو موضوع البحث بالدرجة الأولـــى ، فإنى سأشير إلى بعض السمات الفنية أو عناصر الإبداع التى اســـتنبطتها حسب رأيي وذائقتى من أشعار تلك الأسرة .

١ – اللغة :

الكلمة هى أداة الشاعر التعبيرية التى يبرز بها وجدانـــه ، وهـــى الوسيلة التى يستخدمها لصوغ تجربته الشعرية ، ويرسم بها صورته التى يريد تصويرها .

ولكل واحد من الشعراء معجمه الشعرى الذى ينفرد به دون غيره من الشعراء .

ويقصد بالمعجم الشعرى تلك الألفاظ التى لها أهميتها البالغة فـــى بناء القصيدة ، فهى وسيلة الشاعر فى نقل تجربته إلى المتلقين .

هذا وتتفاوت مقدرة الشعراء التعبيرية وفق ما يمتلكه كل منهم من معجم شعرى حافل بألفاظ اللغة ، فالشاعر المجيد هو الذى يتسلح برصـــيد

هائل من تلك الألفاظ ليتسنى له الانتقاء والاختيار والتفضيل بين الكلمات ذات الإيحاءات المتسقة مع تجربته [١] .

وإذا ولينا وجهتنا تجاه شعر الأسرة – المنوط بها هذا البحث – نرى من شعرائها من كان يفتش عن اللفظ المناسب للموضوع ، ويوائم بين موسيقا الطول والقصر ، وبين المعانى والأغراض ، ويعنى بتوفير عناصر الجمال اللفظى لشعره ، ومن نجد فى شعره أصدافا من التراكيب والعبارات التى لا تثير فى النفس إشراقات الانفعال .

فمن الصنف الأول : نجد الشاعر محمد توفيق يستخدم ألفاظا معبرة عن نفسه ووجدانه حين يتغنى بحب وطنه فيقول :

يا بلادى وكم دموعى تحلو ∴ فى هواها وكم يلذ عذابى
فيك وقف على المدافع صدرى ∴ وعلى البيض ناظرى والحراب
يا نعيمى ولذتى وغرامى ∴ ومراح الصبا ومغدى التصابى
إن تكونى الفردوس يا مصر حسنا ∴ ما الذى ارتجيه يوم الحساب
كم عزول يلومنى فى هواها ∴ مستهينا وليس يعرف ما بى

فأبيات الشاعر السابقة جزلة الألفاظ ، سائغة المعنى ، ملأى بالحماسة الوطنية ، تدعو إلى محبة الوطن والتضحية فى سبيله ، كما أنها تهز العواطف وتوقظ المشاعر ، فالناظر فى كلماته (بلادى – هواها – نعيمى – عذابى – الفردوس – التصابى) يجد أنها وأمثالها تضفى على الوطن الإجلال والشموخ والمهابة ، كما تعكس مدى حب الشاعر لوطنه ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على تمكن الشاعر من لغته وسيطرته على مفرداتها وحسن استعمال تراكيبها ، وقدرته على التعبير بها عما يريد فى مهارة وصدق .

---

(١) – ينظر : التجربة الشعرية عند المتلقى ، ص ٢٣ .

ومن الثانى : قول الشاعر على توفيق يرثى عمه :

عاشها مخلصا حياة الفناء ∴ لا حسودا ولا حقودا مراء

عاش للسلم والسلام حياة ∴ زانها بالرضا وصدق الوفاء

عاش ما عاش طيبا ورحيما ∴ واسع الصدر لم يضق بقضاء

عاش ما عاش بالأمور بصيرا ∴ ودواء لكل داء عياء

عاش بالاطلاع جد شغوف ∴ وإذا ارتاب لاذ بالعلماء

وبه فى الجنان نسأل ربا ∴ أن يسود الجميع خير لقاء

ونحن إذا نظرنا إلى أبيات الشاعر السابقة ، نعيب عليه هذه السطحية فى الكلمات ، والتكلف الواضح فيها ، حتى أننا لا نحس بأى حرارة أو مشاعر تضئ لنا هذه الأبيات ولو أننا بحثنا عن مكنون التجربة هنا لم نجده ، وإنما نجد أصدافا من التراكيب والعبارات التى لا تثير فى النفس إشراقات الانفعال .

٢ - التجربة الشعرية :

هى تعبير عن مشهد أو موقف محسوس أو متخيل عاشه الشاعر وعايشه ، وتأمله واستنبطه ، وانفعل به وله ، وهى عند هذا الحد تسمى تجربة شعورية لأنها ما تزال فى أعماق الشاعر وتملك عليه مشاعره وأحاسيسه ، حيث تنصهر فى بوتقة الشعور ، فإذا ما تجاوزت تلك المرحلة وخرجت فى قالب شعرى يعبر عن تلك المشاعر والأحاسيس سميت تجربة شعرية (١) .

ونحن إذا نظرنا إلى الشاعر محمود توفيق – الابن فى هذه الأسرة الشاعرة – نجد فى شعره حرص واضح على التزام الصدق فى التعبير

---

(١) – معروف الرصافى بين الأصالة والمعاصرة ، د / عبد الوارث الحداد ، ص ٢٩١ بتصرف ، ط دار السعادة ، ط الأولى ١٩٨٦م .

عن المشاعر والأحاسيس ، من ذلك قوله :

حنين حبيب إذا جن ليل الفراق ∴ وغاب سنى الشمس خلف الضباب

وفاضت من النفس أشجانها ∴ وأوغل فى القلب سهم العذاب

أحن إليك حنين المشوق ∴ لأوطانه بعد طول اغتراب

فالشاعر فى أبياته تلك عبر عن تجربة حنين الشاعر إلى محبوبته، وهنا يشبه حنينه إليها بحنينه إلى وطنه ليظهر مدى صدق هذا الحنين .

وعندما يقول هذا الشاعر فى الحزن نجد صدق المشاعر فى قصيدة : " الشمس الغاربة " ، والتى مطلعها :

رحيلك أم شمس من الأفق تغرب ∴ وفقدك أم شطر من القلب يذهب

كما تظهر التجربة الشعرية عند الشاعر " محمود توفيق " حين يصور تجربة افتقاد الوجه الإنسانى للمدينة وشعور الشاعر نحوها ، حيث تتجلى طبيعة هذه التجربة فى إطار إظهار وجه المدينة المتحول والمتغير فى ظل الحياة فيها ، فهو يبحث عن ذاته التائهة وعن رفاق الصبا بعد أن أحس بعوامل الزمان وانعكاسه على المدينة ، يقول :

أهيم فى شوارع المدينة

أطالع البيوت ، والأبواب ، والأعتاب

أسألها عن صفوة الأحباب

وعن ملاعب الصبا وعن مراتع الشباب

وعن زمان ساحر قد انطوى وغاب

فهو يرى أن الوشائج الإنسانية النبيلة القائمة على الود والدفء قد انمحت تحت أقدام المدينة التى تمزقت بها العلاقات الإنسانية ، وحينئذ يجد الشاعر نفسه وحيدا غريبا رغم زحمة الحياة بالمدينة ، فلا رباط يربطه بها بعد أن تبعثر الأصحاب ، فيقول :

يا نفحة من زمان الصفاء ∴ تهب على نفسى المتعبة

ذكرت بها أمنيات الشباب ∴ وأشواق أيامه الطيبة
رفاقى رفاق الزمان الجميل ∴ لقد عشتم اليوم فى خاطرى
وجوها تلوح خلال الضباب ∴ فيحجبها الدمع عن ناظرى
وكنا كثيرين شتى السمات ∴ ولكن أرواحنا تتصل
نكاد نطير كسرب الحمام ∴ تحلق فوق ضفاف الأمل
ويمضى الزمان حثيث الخطا ∴ وتنفرط الصحبة الرائعة
وقد بعثرتها صروف الحياة ∴ مع الريح فى الأوجه الأربعة

٣ – التضاد :

جاء التضاد عند القدماء بمعان متعددة ، فمنهم من عده نوعا من الاشتراك اللفظى [١] ، ومنهم من عد التضاد من المقابلة ، وهى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانى متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب ، أو هى الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة [٢] .

ولنصغ إلى شاعر من شعراء الأسرة فى قصيدة بعنوان : " الربيع الجميل " يقول فيها :

يعود إلينا الربيع الجميل ∴ فهل تسمعين نداء الربيع
وهل تفسحين له فى الفؤاد ∴ مكانا ليمرح بين الضلوع
وكيف تحسين دفء الربيع ∴ وقلبك ما زال تحت الصقيع

فالمفارقة أو التضاد فى البيت الأخير ينم عن ومضة شاعرية تؤلف بين فيض القلب وثراء الفكر .

---

(١) – المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى : ١ / ٣٨٧ ، ط القاهرة ١٩٥٨م .

(٢) – الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ، ص ٣٥٣ ، ٣٨٧ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٥م .

٤ – الرمز :

الآداء الرمزى واضح فى كثير من أساليب أحد شعراء هذه الأسرة ، ومن جميل رمزه الذى يستخرج بشئ من الملاحظة الدقيقة ، لكن سرعان ما يجده القارئ قريب المأتى وغير غريب عليه ، قوله من قصيدة بعنوان : " حظى " :

ما رأينا كوكبا ذا ذنب ∴ لاح فى آفاقنا لم يأفل

والمقصود بقوله (كوكب ذا ذنب) – فى رأيى – لا يقصد به أحد الكواكب أو المذنبات المعهودة ؛ لأن أرض العرب فى الشرق تخلو تماما من المذنبات ، ولا يظهر فيها شئ من ذلك ، وإنما الشاعر يقصد بكوكب ذى ذنب (دولة الاستعمار) وتهافتها على بلاد العرب ، وجمال الإيحاء الرمزى يشع من تعابيره ، فكوكب ذو ذنب يوحى بالهلاك والدمار ، والتساؤل يوحى بالدهشة والتعجب ، و (آفاقنا) توحى بجمال وخيرات بلادنا ، و (يأفل) توحى بالظلام ما دام هذا الكوكب به .

٥ – التناص :

وهو أن تدخل نصوص أدبية – شعرا أو نثرا – مع نص القصيدة الأصلى ، وقد عرفت هذه الظاهر تحت مسميات أخرى ، كالسرقة والاقتباس والتضمين والتقليد والمعارضة ، ومن ذلك ما جاء فى قول أحد شعراء الأسرة :

لا أطيع الشيطان فيما دعانى ∴ (إن كيد الشيطان كان ضعيفا)

فهو متضمن قول الله تعالى : { فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } [١] ، وأما قوله :

---

(١) – من الآية [٧٦] سورة النساء .

هيهات أحصى ورسول الهدى ∴ يقول : لا أحصى ثناء عليك

فهو مقتبس من قوله (ﷺ) فى دعائه : " اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " (١) .

وأما قصيدة أحدهم (ليلى المريضة بالعراق) التى يصور فيها محنة الشعب العراقى تحت وطأت الحصار ، ويقول فى مطلعها :

يقولون ليلى بالعراق مريضة ∴ فقلبى جريح عندها وكسير

فقد بدا فيها توظيف الشاعر للتراث العربى ، حيث اختار شطرا من الشعر القديم له دلالة انفعالية ، مناسبة للموقف ، وهذا الشطر الذى بدأ به القصيدة هو لمجنون ليلى (يقولون ليلى بالعراق مريضة) ، وقد جاء فى مكانه الصحيح فى مفتتح القصيدة ، واتفق مع وزن القصيدة ، وكذلك كان التوفيق فى التوظيف ، فالموضوع يكاد يكون واحدا بين الشاعرين ، وهو آلام من يعيش على أرض دجلة والفرات .

ومن ذلك قول أحد شعراء الأسرة :

أيها القاسطون صولوا وطولوا ∴ ليس يرجى فينا لرأى قصير

فقد ضمنه المثل : (لا يطاع لقصير أمر) (٢) .

ومنه قول أحدهم :

جردونا لفتحه ثم قالوا ∴ بعد ما تم حجنا المبرور

أيها الجيش عد (بخفى حنين) ∴ وهو جيش مظفر منصور

ففيه المثل القائل : (رجع بخفى حنين) (٣) .

---

(١) – مسند الإمام أحمد بن حنبل : ١ / ٩٦ ، ط دار الفكر العربى .

(٢) – مثل يضرب فى العصيان عاقبته الندم . [مجمع الأمثال : ٣ / ١٩٨] .

(٣) – مثل يضرب عند اليأس من الحاجة . [مجمع الأمثال : ١ / ٢٩٦] .

٦ – الصورة :

وهى فى الإبداع الشعرى : الشكل الفنى الـذى تتخـذه الألفـاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر فى سياق بيانى خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة فى القصيدة ، مستخدما طاقات اللغـة وإمكاناتها فى الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقـة والمجـاز والتـرادف والتضاد ، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفنى (١) .

ومن ذلك قول أحد شعراء الأسرة – المنوط بها هذا البحث – :

إيه يا أم .. معصمى هده القيد .. وسالت من الجراح دمائى
والسياط التى تعربد فى ظهـرى تغنى .. فيا له من غـناء
أطبقت ظلمـة الخطوب على عينى حتى جهلت لون الضياء
والشقاء الذى تناثر حولى .. فاض حتى ألفت طعم الشـقاء
والغنـاء الذى أراه بعينى تمـادى .. حتى رأيت فنـائى

ونلاحظ أن تلك الصورة الموجزة علاوة على ما فيها من التشبيه والكناية ومعانى البلاغة من استخدامه الطباق ، فإنها صورة لواقع الحـال عام ١٩٤٥م فى نهايات الحرب العالمية الثانية ، وفى ظل المحنة القاسية والظلمة الموحشة لم يفقد الشاعر إيمانه بالنضال من أجل الحرية ، فتـراه يسمع أجراسها ونشيدها ، ويرى ضياء شمسها فيقول :

انشـدينى فما أرق حواشـيك ∴ وما أعـذب المنى فـى غـنائك
أرسلى نورك المقدس للأرض وبثى أشـعة من سـمائك
طائـف مـنك دعـانى ∴ أيقظ القلب وأذكى مشـاعلا من ضياك

---

(١) – ينظر : الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر ، د / عبد القادر القط ، ص ٣٩١ ، ط دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

فصحت فى دمى أناشيدك السكرى ∴ ودوى فى الروح رجع غنائك

ففى تلك الصورة الرقيقة من التفاؤل التى يرسمها الشاعر لروح المناضل صاحب المبادئ ، يستخدم التشبيه ، ويزكى روح الأمل فى فجر مرتقب ، فى عمق إحساس ورقة مشاعر ، تذكرنا بملمس الفولاذ الناعم وشدة صلابته .

٧ – الموسيقا :

وهى من أبرز علامات الشعر ، إذ هى التى تميزه عن الكلام المعتاد ، وعن غيره من الفنون الأدبية ، وموسيقا الشعر لم يضبط منها إلا ظاهرها ، وهى ما تضبطه قواعد علمى العروض والقوافى ، ووراء هذه الموسيقا الظاهرة ، موسيقا داخلية خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته وما بينها من تلاؤم بين الحروف والسكنات ، وبهذه الموسيقا يتفاضل الشعراء (١) .

وعن طريق هذين النوعين من الموسيقى يستطيع كل شاعر أن يعبر عن وجدانه وخواطره ويستطيع أن يحرك مشاعر وأحاسيس الآخرين ، فالموسيقا للشعر بمنزلة الروح للجسد والألوان للصور ، فلا قيمة للشعر بدون الموسيقا ، فبها يكتب للشعر الخلود .

ومن خلال دراستى لدواوين شعراء الأسرة – المنوط بها هذا البحث – تبين أن الشعراء استطاعوا أن يستخدموا الموسيقا الشعرية بنوعيها الظاهر والخفى استخداما حسنا ، وباستقراء معظم نتاجهم وجدت لهم ما يقرب من ألف بيت شعرى فيما يقرب من مائة قصيدة ومقطوعة ، وزعت بالنسب التالية على البحور الشعرية :

---

(١) – فى النقد الأدبى ، د / شوقى ضيف ، ص ٩٧ ، ط دار المعارف ، القاهرة .

فيأتى في المقدمة بحر الكامل بنسبة : ٧٦ ,٣٧ % ، يليه البسيط بنسبة : ٧٨ ,١٤ % ، يليه الوافر بنسبة : ٢٣ ,١٢ % ، يليه الخفيف بنسبة : ٠٤ ,٩ % ، يليه المتقارب بنسبة : ٤٤ ,٧ % ، يليه الطويل والرمل بنسبة: ٨٥ ,٥ % لكل منهما ، يليهما المتدارك بنسبة: ٧٨ ,٤ %، يليه الرجز والمجتث بنسبة : ٠٦ ,١ % لكل منهما .

كما نوع شعراء هذه الأسرة فى استخدامهم للقافية ، فآثر بعض شعرائها استخدام القافية المطلقة ، وهى التى يكون حرف الروى فيها متحركا ، بينما آثر البعض الآخر استخدام القافية المقيدة ، وهى التى يكون حرف الروى فيها ساكنا .

كما أحسن الكثير منهم استخدام مظاهر الموسيقا الداخلية التى تنبع من عدة ظواهر ، أهمها : الجناس والطباق والمقابلة وتقسيم البيت والتصريع والتكرار وغير ذلك مما مر بنا فى ثنايا البحث .

الخاتمـــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ... وبعد ،،،

فقد تناولت فى بحثى هذا مجموعة من الشـــــعراء فـــى العصـــر الحديث ، جمعتهم أواصر القربى كما جمع بينهم الإبداع الشعرى ، وقـــد توصل البحث إلى نتائج كان أهمها ما يلى :

- حاول البحث أن يثبت أن الإبداع يمكن أن يتكرر فى الأسرة ذاتها من خلال ما قدمه من شعر وعرض لمسيرة أصحابه .
- كشف البحث النقاب عنه مجموعة من الشعراء المغمورين الذين لـــم يأخذوا حظهم من البحث والدراسة الأدبية بما يتفق مع نتاجهم وفنهم .
- ألقى البحث الضوء على شخصيات الأسرة – المنوط بها البحث – مع عرض لنماذج كاملة من بعض قصائدهم بقصد تعريف القارئ بهم من خلال أشعارهم ، فمن شاعر منسى كان فى منزلة شوقى وحافظ ، إلى ضابط ثائر قام بثورة غيرت ملامح أمة ، إلى عالم أديب جمع بـــين العلم والأدب ، إلى مناضل وهب نفسه للدفاع عن مبادئ ظل وفـــيا لها ، إلى زجالة أبدعت ، إلى شاعرة فنانة ملكت زمام اللغـــة ، إلـــى شباب من الأحفاد أبدعوا فى الأدب والفن .
- عبر شعراء هذه الأسرة عن كثير من أغراض الشعر بما تحمله مـــن فكر وعاطفة وآلام وآمال بأسلوب يحمل الكثير من صفات الفن الأدبى الأصيل .

- اتسم شعرهم – من الناحية الفنية – بسمات مميزة من حيث الألفـــاظ والأساليب والصور والموسيقا .

- تميز شعراء هذه الأسرة – إلى حد ما – بمنهج فنى يقوم على التقليـــد فى الشكل والتجديد فى المضمون ، وبهذا المنهج استطاعوا أن يجمعوا بين القديم فى أصالته وبين الحديث فى جدته لينسجوا مزيجـــا يحمـــل ملامح شخصيتهم الأدبية .

هذا وبالله التوفيق ، وصلى الله على ســـيدنا محمـــد وعلـــى آلـــه وصحبه وسلم .

د / سيد أحمد عبد الرحمن محمد أبو عليو
مدرس الأدب والنقد
فى كلية اللغة العربية بجرجا

المصادر والمراجع :

- الاتجاه الإسلامى فى شعر محمد توفيق على ، د / كمـــال مخلوف ، ط دار طيبة ١٤٢٥هـــ ٢٠٠٤م .
- الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر ، د / عبد القادر القط ، ط دار النهضة العربية ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠١هـــ ١٩٨١م .
- الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥م .
- الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة، د / مصطفى سويفى، ط دار المعارف ١٩٧٠م .
- أسس النقد الأدبى عند العرب ، د / أحمد أحمد بدوى ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٩م .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ، ط دار الحديث للطباعة والنشر .
- الأعلام لخير الدين الزركلى ، ط دار العلم للملايـــين ، ط الخامســـة ١٩٨٠م .
- أغاريد النعام – قصص زجلية – للشاعر محمد توفيق الأزهـــرى ، ط مؤسسة طابا للنشر ٢٠٠١م .
- تاريخ آداب اللغة العربية ، مصطفى صادق الرافعى ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت .
- تاريخ الأدب العربى لأحمـــد حســـن الزيـــات ، ط دار المعرفـــة ، بيروت ، لبنان ١٣١٤هـــ ١٩٩٣م .
- التجربة الشعرية عند المتلقى ، د / عبد اللاه محمود حسن محروس ، مطبعة الأمانة ، ط الأولى ١٤٠٨هـــ ١٩٨٨م .

- التربية الإبداعية فى منظور التربية الإسلامية ، د / خالد بن حامد الحازمى ، بحث منشور فى مجلة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، عدد ١١٦ ، بتاريخ ١٤٢٢هـ.
- حرية الأديب ورسالة الناقد ، د / عيد عبد الرحمن قناوى ، ط دار الوفاق للطباعة والنشر بأسيوط ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .
- سمير الأدباء للأستاذ / سعد ميخائيل ، ط جرجس حنين بالمنيا .
- شعراؤنا الضباط ، محمد عبد الفتاح إبراهيم ، مطبعة عبد الحليم حسنى ١٩٣٥م .
- الشوقيات لأحمد شوقى ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .
- علم النفس المعاصر ، د / حلمى المليجى ، ط دار النهضة العربية ، بيروت ، ط الثانية ١٩٧٢م .
- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيروانى ، تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
- عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ، تحقيق / عبد العزيز المانع ، ط دار العلوم ١٩٨٥م .
- فى النقد الأدبى ، د / شوقى ضيف ، ط دار المعارف ، القاهرة .
- كتاب المغازى للواقدى ، تحقيق / مارسدن جونس، ط عالم الكتب ، بيروت .
- مذكرات الشاعر محمود محمد توفيق ، مخطوط .
- المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، ط القاهرة ١٩٥٨م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط دار الفكر العربى .

- مشاهير شعراء العصر لأحمد عبيد ، مطبعة الترقى ، ط الأولى ١٩٢٢م .
- مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية لعبد الرحمن الرافعى ، ط دار المعارف ، ط الخامسة ١٩٨٤م .
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
- معروف الرصافى بين الأصالة والمعاصرة، د / عبد الوارث الحداد، ط دار السعادة ، ط الأولى ١٩٨٦م .
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د / على عبد الواحد وافى ، ط نهضة مصر .
- الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، د / مانع حماد الجهنى ، ط دار الندوة العالمية للطباعة ، الرياض ، ط الثالثة ١٤١٨هـ .
- يوسف صديق بطل ثورة يوليو ومنقذها ، بقلم / محمد توفيق الأزهرى ، ط دار طيوف للطبع والنشر ٢٠٠٠م .

الدواوين الشعرية :

- ديوان أعياد للشاعر محمود توفيق ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٤م .
- ديوان أنشودة للوادى المقدس للشاعر محمود توفيق ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م .
- ديوان ترنيم الأوتار لمحمد توفيق على ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

- ديوان تسبيح الأطيار لمحمد توفيق على ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .
- ديوان دمع على طلل للشاعر محمود توفيق ، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠م .
- ديوان الروضة الفيحاء لمحمد توفيق على ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .
- ديوان السكن لمحمد توفيق على ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .
- ديوان الشاعر أحمد كمال عمار ، مخطوط .
- ديوان الشاعر حسن كمال الأزهرى ، مخطوط .
- ديوان الشاعر على محمد توفيق ، مخطوط .
- ديوان الشاعر محمد توفيق الأزهرى ، مخطوط .
- ديوان الشاعر محمد سعيد الأزهرى ، مخطوط .
- ديوان الشاعرة أمانى الأزهرى ، مخطوط .
- ديوان الشاعرة بهيجة محمد توفيق ، مخطوط .
- ديوان ضعوا الأقلام للشاعر يوسف صديق ، مطبعة الشعب ، القاهرة ١٩٩٩م .
- ديوان قصائد فى الحب والحزن للشاعر محمود توفيق ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .
- ديوان قفا نبك لمحمد توفيق على ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .
- ديوان ما بعد الحب للشاعر محمود توفيق ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م .

الرسائل العلمية :

- الاتجاه الوطنى فى شعر محمد توفيق علـــى ، رســـــالة ماجســـتير للباحث / سيد أحمد عبد الرحمن ، كليـــة اللغـــة العربيـــة بأســـيوط ١٤٢٦هـــ ٢٠٠٥م .
- الرؤية الفنية للأدب الإسلامى فى العصر الحديث ، رسالة دكتـــوراه للباحثة / وفاء إسماعيل ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنـــات بالإسكندرية ٢٠٠١م .
- محمد توفيق على حياته وشعره ، رسالة ماجستير للباحث / محمـــد عبد الله عباس ، كلية اللغة العربية بالزقازيق ١٩٩٢م .

الدوريات :

- جريدة الأهرام ، العدد ١٧٨٢٨ بتاريخ ٢٧ / ٧ / ١٩٣٤م .
- مجلة برديات ، العدد السادس ، الصادر فى يونية ٢٠٠١م .
- مجلة الزهور ، المجلد الثالث ، عدد يناير سنة ١٩١٣م .
- مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ، العدد الأول ، ط الشركة العربية للطباعة والنشر ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م .